موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب بباوي

# الرد على كتاب بدع حديثة

## الكتاب الأول

www.coptology.com

# الرَّدُ عَلَى كِتَابِ بِدَعٍ حَدِيثَةٍ

## الكتاب الأول

حقيقة وجوهر ما يُشاع باسم العقيدة الأرثوذكسية
في كتاب "بدع حديثة" للأنبا شنودة الثالث

**دراسة للمنهج والمعطيات والنتائج**
**حسب التسليم الكنسي لآباء الكنيسة**

دكتور
جورج حبيب بباوي

٢٠١٠

www.coptology.org

# الباب الأول

# تمـــهـــيـــد وتـــقـــديم

# الفصل الأول

## ليس لاهوتاً، ولا هو مقارَناً

عندما صدرت مقالات اللاهوت المقارن تباعاً في مجلة الكرازة، أرسلتُ عدة خطابات للأنبا شنودة أطالبه بالإمتناع عن مواصلة النشر، وإذا كان لديه ما يريد أن يقوله عن العقيدة فليكن ذلك من خلال التسليم الكنسي، لا من خلال ما تكوَّن عنده من آراء وتفاسير شخصية، وأن يكون للآباء الصوت الأول، والشهادة الجامعة المنيعة، ولكن الجميع يعرف أنه ليس الباحث أو المؤرخ أو عالم اللاهوت لأن ما جاء في المقالات يؤكد لنا:

**أولاً**: أنها جاءت من انفعالات شخصية، ولذلك تخلو من العودة إلى التاريخ الكنسي، ومصادر التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي: الآباء والليتورجية.

**ثانياً**: أن الأنبا شنودة الثالث لم يدرس الآباء، فهو في هذه المقالات كما فعل بعد ذلك، يستلهم عقله وحده وما يعرفه، ولذلك غاب ذهبي الفم الذي تُرجم إلى العربية في مطلع القرن الثاني عشر، ولا تزال هذه الترجمات في مكتبة البطريركية في الأزبكية. بل لا عذر له في عدم العودة إلى عظات ذهبي الفم على رسائل القديس بولس، وهي تقريباً ثلثي العهد الجديد، ونشرت هذه العظات، ولا تزال مجلدات هذه العظات في مكتبة دير السريان... ولكنه كما صرح هو في أكثر من مناسبة، أنه يشك في أصالة كتب آباء الكنيسة، وفي مقدمة هؤلاء الآباء القديس أثناسيوس نفسه، ولذلك كل ما ورد تحت اسم "اللاهوت المقارن" لا علاقة له بأي لاهوت نعرفه. لا هو أرثوذكسي ولا بروتستانتي ولا كاثوليكي.

## النشر والتأليف ضرورة

من حق كل مسيحي أن يكتب ويؤلف... ليست هذه هي القضية الأولى... لكن عندما يتهم غيره، ويخترع اتهامات عقائدية موجودة في عقله وحده، بل ويُجرم غيره ويحاربه بكل ما يملك، لاسيما التوجه إلى الشارع القبطي الذي أصبح هو مجال الباحث والقاضي لكل العقائد، وأصبح حشد أكثر عدد من الأنصار والمؤيدين، هو الدليل على صحة التعليم. أسلوب "جماهيري" سياسي لا علاقة له بأي عقيدة أو أي مبدأ أخلاقي مسيحي، ولا يمت للقداسة بأي صلة، ثم ينتهي هذا العرض الجماهيري "بقطع" من يختلف مع الأنبا شنودة و"حرمانه". أو عندما يعجز عن التصدي لمجلدات أبحاث ودراسة الأب متى المسكين، لا يجد أمامه سوى "الشوشرة" واختراع اتهامات هو أول من يعلم أنها غير صحيحة.

## الزعامة السياسية التي أفسدت كل ما هو مقدس

عندما جلس الأنبا شنودة على كرسي مار مرقس، كانت الآمال والأحلام والتطلع إلى غد مشرق أكبر منه بكثير. كان يعقد – بعد تنصيبه مباشرة – اجتماعات في كنيسة مار جرجس "كوتسيكا" واشترك معه الأنبا صموئيل، الأنبا أثناسيوس، الأنبا يوأنس ثم توقفت الاجتماعات، فقد اختلفت الرؤى واحتدم الصراع علي القيادة.

عندما بدأ الهجوم على الأب متى المسكين، كان كل المحيطين به، لهم رأي واحد وهو إصدار كتب عقائدية أرثوذكسية لأن هذا هو السلوك الكنسي المقبول، والمتعارف عليه وهو أجدى ... خصوصاً وأن الاتهام بالهرطقة هو اتهام لم يتم بحثه حسب القواعد المرعية في القانون والتاريخ الكنسي أو ما يظهر في بعض مقالات الأب متى المسكين أو الكثير من عبارات غامضة تحتاج إلى ضبط لا إلى صياغة اتهامات غير موجودة أصلاً.

أرسل الأب متى المسكين من الدير مخطوطة كتاب "الإفخارستيا" مع الأب أليشع المقاري، وطلب في رسالة شخصية أن يكتب الأنبا شنودة مقدمة الكتاب، وقال في رسالته إن جمع الشمل سوف يوحِّد ويقوي دعوة التكريس للرهبنة والكهنوت ويشفي جراح قديمة.

سلم الأنبا شنودة إليَّ مخطوطة الكتاب ومعها رسالة الأب متى المسكين وطلب مني مراجعة الكتاب.

قرأت الكتاب بلهفة أسبابها:

**أولاً**: أننا لا نملك بحثاً عن القداسات أو العشاء الرباني بالمرة، وما نُشر منذ القرن الثالث عشر "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" للقس أبو البركات ابن كبر، و"ترتيب البيعة" لمؤلف مجهول، و "اللؤلؤة النفيسة في طقوس الكنيسة" للعالم زكريا ابن سباع، من علماء القرن الثالث عشر، كلها تعرض ما تمارسه الكنيسة مع شرح مُوجز. وتبعاً لذلك تأتي هذه الدراسة لكي تملأ فراغاً كبيراً وتعد فاتحة جديدة نحن في أشد الحاجة إليها.

**ثانياً**: كان الأب متى المسكين قد نشر قبل كتاب "الإفخارستيا"، كتاب "الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار"، ثم كتاب "القديس أثناسيوس" وكانت هذه المجلدات بداية العودة إلى منهج آباء الإسكندرية، وهو تأصيل كل ما يُكتب عن العقيدة والحياة الأرثوذكسية علي أساس الكتاب المقدس و التاريخ الكنسي.

وجاءت دراسة الأب متى المسكين مثل فصل الربيع بعد فصل حر شديد، للجهل وسيادة الممارسات الشعبية الفلكلورية ...

قرأت الكتاب كله في يوم واحد، ولذلك عدت إلى الأنبا شنودة لكي أخبره بأنه بحث جيد جداً، وأصيل، ولا يوجد في الكتاب سوي عبارة واحدة خاصة بالبركة غامضة، تحتاج إلى مراجعة من المؤلف.. هنا فقط بدأت ملامح الصراعات القادمة تظهر.

**أولاً**: تضايق الأنبا شنودة الثالث جداً مني شخصياً وأحـــال المخطـــوط إلى شخص رقد بعد صراع طويل مع المرض، ويحمل هذا الشخص عداءً وكراهية شديدة للأب متى المسكين، رغم أنه كان في يوم من الأيام من قادة "بيت التكريس".

**ثانياً**: ظهر بوضوح شديد أن الحكم والقاضي هو الإنفعالات وسيادة الغرائز وليس المعرفة.

بعد أسبوع، وفي لقاء مع الأنبا شنودة قرأ أمامي رده علي خطاب الأب متى المسكين وتضمن الخطاب ملاحظات علي كتاب "العنصرة" وقال إنه لن يكتب مقدمة لكتاب "الإفخارستيا" إلاَّ بعد مراجعة الكتب السابقة. وحملت الخطاب وذهبـــت إلى دير القديس الأنبا مقار، وفي مضيفة الدير جاء الأب مـــتى المســـكين، الأب يوحنـــا المقاري، الأب باسيليوس المقاري، وجاء الأب كيرلس المقاري بعد ذلك، ثم قرأ الأب متى المسكين خطاب الأنبا شنودة بصوت عالٍ أمام الجميع.

وجاءت ردود الأفعال متباينة، وسمع الأب متى المســـكين الكـــل. لزمـــت الصمت. فقد كانت كل ملاحظات الأنبا شنودة الثالث علـــى كتـــاب "العنصـــرة" انفعالات شخصية، لا علاقة لها بالأرثوذكسية، وتقف عند وصف الكنيســـة بأنهـــا "جسد المسيح"، وأنها مثل "العليقة" وهي رمز لوالدة الإله، عبارة غير مألوفة عند جيل لم يقرأ مار أفرام السرياني، وأمبروسيوس أسقف ميلان، وغيرهما من الآباء.

موضوع الكنيسة نفسه لم يدرسه أحد قبل صدور كتاب "الكنيسة الخالـــدة" ثم "العنصرة" ومع موضوع الكنيسة موضوع "الروح القدس" و"الثالوث" وغيره مـــن دعامات المسيحية عامة والأرثوذكسية بشكل خاص.

وأمسك الأب متى المسكين بورقة وكتب رداً مختصراً يؤكد فيه أن مســـؤولية التعليم تقع علي عاتق بابا الإسكندرية، وقال بالحرف الواحد: "**أنا مســـتعد لإعـــادة طبع كل كتبي بالتصحيحات التي تراها قداستكم، وسوف أضع في هـــامش كـــل صفحة العبارات الأصلية**".

ولم يقدم الأنبا شنودة الثالث أي تصحيح، وحوَّل الموضوع كله إلى كاتب هذه السطور الذي لم يرَ في مؤلفات الأب متى المسكين أي خروج على التعليم والتسليم الآبائي... وبذلك تحولت أنا نفسي إلى قائمة الأعداء، التي تصدرها الأب متى المسكين، والذي أصبح بما يملك من مؤلفات وحياة نسكية القائد الروحي الحقيقي، وليس أسقف التعليم الأنبا شنودة الذي أصبح بابا الإسكندرية بعد ذلك...

هذا هو جوهر وقلب كل ما حدث وما قيل...

## حشد أساقفة صغار السن

كان الأنبا شنودة الثالث، ولا يزال، يعلم أن الاتهام بالهرطقة الموجه ضد الذين اختلف معهم حول مسائل سياسية، كان يعلم علم اليقين أن هذا "السهم السام" يمكن أن يرتد ويضربه هو شخصياً.

وجاءت أحداث عنيفة سريعة: حرق كنيسة الخانكة ــ الزاوية الحمراء ــ حرق كنيسة السيدة العذراء قصيرية الريحان بمصر القديمة... وغيرها يسير بسرعة تدفع الأنبا شنودة الثالث إلى زعامة سياسية للأقباط. وانكمش الأقباط داخل الكنيسة، وتراجعت الأحزاب السياسية بما فيها حزب الوفد الجديد عن التصدي لما كان يحدث في مصر... وتزامن الاعتداء على الكنائس والأقباط مع الاعتداء على الأمن نفسه، واغتيال الشيخ الذهبي وشهداء الفنية العسكرية.

ولم يقدِّر الأنبا شنودة الثالث حجم خسارة مصر، ولذلك كان قرار إلغاء الاحتفال بعيد القيامة في ١٩٨٠ هو قرار سياسي، وضع فيه الأنبا شنودة الثالث ومعه الأقباط في ذات الخندق الواحد الذي يحارب رئيس الجمهورية، فصار بذلك الحليف لحركات التطرف والتي كانت تعمل ضد حكومة مصر وعلي رأسها أنور السادات.

وخلف الانشغال بما درجنا على وصفه "بالفتنة الطائفية" قُسِّمت الإيبارشيات، ورُسِم عدد هائل من الأساقفة بعضهم دون السن القانوني، مثل الراهب

توما السرياني وهو الأنبا بيشوي بعد ذلك ... ورسامته غير قانونية؛ لأنه رُسِـــم دون السن القانونية.

حَشَد الأتباع من الأساقفة للدفاع عنه، ولكن هذا الحشد فشل تماماً عنـــدما صدر قرار "التحفظ" عليه في دير الأنبا بيشوي. لأن جبهة الأساقفة تعجز أمام أصغر قوة تنفيذية في أي حكومة في العالم.

وحشد الأساقفة لا يلغي القانون الكنسي، وحشد الأساقفة لا يلغي العقيـــدة الأرثوذكسية ولا يؤكد أو ينفع في أي صراع عقيدي، لأن القاضي في مسائل العقيدة: الآباء – التاريخ الكنسي.

## خسارة فادحة

عندما جلس الأنبا شنودة علي كرسي مار مرقس رحب به الرئيس السادات و لم يكن اختيار بطريرك الأقباط يخضع لأي أجراء قانوني حكومي سوي موافقة رئيس الجمهورية علي قرار المجمع المقدس، وتدور الأحداث وتحمل الأنبا شنودة موجة عاتية إلى المحكمة الإدارية لإلغاء قرار رئيس الجمهورية، وسلَّمه المحامي حنـــا نـــاروز مثـــل خروف صامت إلى سيف القانون المصري، في مذكرة الدفاع التي طلب فيهـــا حنـــا ناروز مؤكداً أن وظيفة البابا البطريرك هي من اختصاص رئيس الجمهورية مثل عمداء الجامعات والمحافظين، ونقلت المحكمة رغبة محامي الدفاع وصدر قـــرار مـــن رئـــيس الجمهورية:

"يُعاد تعيين الأنبا شنودة الثالث".

فوُضِع كرسي مار مرقس لأول مرة منذ الفتح العربي تحت ســـيادة القـــانون الإداري وتحت سلطان رئيس الجمهورية.

## الثمن الباهظ الذي دفعناه ولا نزال ندفعه

ماذا بعد ذلك... والسيادة لقانون الغرائز والانفعالات:

**١**– ضباب كثيف يحيط بأسرار الكنيسة لاسيما سر الشكر الذي يصر الأنبا شنودة الثالث على أنه تناول الناسوت فقط.

**٢**– إنكار سكنى وحلول الروح القدس فينا بدعوى غريبة أننا نأخذ المواهب فقط رغم أننا لم نرى هذه المواهب عند أصحاب هذا الادعاء الكاذب.

**٣**– إنكار الشركة في الطبيعة الإلهية واتهام هذا التعليم بأنه دعوى للشرك بالله.

**٤**– فصل الإنسان فصلاً تاماً عن المسيح نفسه.

**٥**– اعتبار البابا رأس الكنيسة، فحل محل المسيح نفسه وأصبح هو رأس الجسد، وصار لجسد المسيح رأسين: بابا الإسكندرية والرب يسوع ... تعليم يترع كل اختصاصات المسيح باسم رئاسة الكهنوت[١].

وباقي القائمة شنيع. لكن ليست العبرة في القائمة، وإنما في العجز عن شرح التعليم ثم مطاردة كل من هو قادر على ذلك. مُنع د. المستشار وليم سليمان و د. المستشار عوني برسوم من تدريس القانون الكنسي. وأُبعد د. سليمان نسيم عن معهد الخدمة القسم المسائي ثم مجلة مدارس الأحد. كما وُضِع الأنبا غريغوريوس تحت حزام الفقر، وسُحب منه معهد الدراسات القبطية وأُبعد عن الكلية الإكليريكية. وقصة المؤرخة الكنسية إيريس حبيب المصري وكتاب السنكسار معروفة.

وأسلوب مطاردة هؤلاء الباحثين يخدش الحياء ولعل خير مثال علي الإيمان بالبحث هو أن يصبح د. ميشيل بديع الذي تخصص في كتابات ديديموس الضرير مسئولاً عن قسم الألحان الكنسية بعد رحيل أستاذنا راغب مفتاح، فهو مثل غيره ممنوع من تدريس الآباء، وسبقه في القائمة د. وهيب قزمان والأب الروحي لكل الباحثين د. نصحي عبد الشهيد.

---

(١) – في الكتاب الرابع سوف نفند اعتداء الأنبا بيشوي علي رئاسة المسيح.

## إنفاق وإنفاق

ما هو حجم الإنفاق السنوي على التعليم الكنسي؟ ومن هو المسئول عن تدني مستوى هذا الإنفاق إلى ما دون الحد الأدنى؟

وهل لدينا مكتبة علمية تليق بمكانة كنيسة الإسكندرية؟

هل لدينا مجلة للأبحاث والدراسات مثل كل الجامعات والمعاهد المحترمة؟

هل شجع الأنبا شنودة حركة ترجمة الآباء إلى اللغة العربية؟

هل أصدر المجمع المقدس دراسات عقائدية أرثوذكسية، أو حتى توصيات بإجراء مثل هذه الدراسات؟

وغيرها من أسئلة تجعلنا نشعر بالحرج الشديد في تدوين الرد عليها أو على بعض منها. أما الإنفاق على المناسبات، والمباني، والسيارات... الخ، فهو موضوع معروف ولا داعٍ لفتح هذا الملف. فالإنفاق المسموح به هو الإنفاق على المكانة والزعامة وصك ميدالية ذهبية عليها صورة الأنبا شنودة الثالث. هي حق الفقراء الذي قرره الله وأهدره الأنبا شنودة الثالث. ووضع الباحثين تحت حزام الفقر مع مطاردة دائمة لهم بالمنع من الخدمة وتحريض جيش الأساقفة علي تجاهلهم، ونشر اتهامات سياسية، أو جمع هؤلاء الباحثين في بوتقة واحدة وهي "الأب متى المسكين" وأصبح الأنبا شنودة هو الحكم والقاضي بما تمليه عليه نزعة حب الزعامة والإدعاء الكاذب بمعرفة أصول الأرثوذكسية.

واضح من كل ما تقدم أن تجاهل مساحة التعليم الكتابي واللاهوتي والتاريخي هو تجاهل مقصود يحصر التعليم في زعامة لا في مجالات البحث والتدقيق.

هذه مأساة.

# الفصل الثاني

# المنهـــــــــــج

## قائمة الاتهامات في المقدمة

حاول أيها القارئ الكريم، أينما كنت، أن تقارن بين المقالات الأربع ضـــد الأريوسيين وكتاب "بدع حديثة"، فسوف تكتشف أن القديس أثناسيوس يضع ويحدد ما تنكره الهرطقة الأريوسية بالنصوص، وعندما يتهم الأريوسية بالعودة إلى اليهودية[١] أو هرطقات مدارس الغنوصية، فإنه يقدم الدليل والحجة. لا يقدم المعلم الكنسي اتهاماً أجوفاً وعاماً وبلا دليل.

فهل فعل الأنبا شنودة ذلك؟؟

هذه هي سمات قائمة الاتهامات من واقع كلمات الأنبا شنودة نفسه الـــذي يقول عن أعدائه:

> "بدع حديثة... تصدر من أشخاص داخل الكنيسة، أو كانوا كذلك".

فلا تعرف ما إذا كان هؤلاء الأشخاص – بغض النظر عن حجب الأسماء – لازالوا داخل الكنيسة أو تركوها حسب تعبير الأنبا شنودة.

كلام غامض وعام لا يليق.

واتهام آخر:

> "وأصعب من هذا كله أنهم ينسبون أخطاءهم إلى القديسين".

---

(١) **على سبيل المثال لا الحصر – ضد الأريوسيين ٣: ٢٧.**

إذن من هم هؤلاء القديسين بالتحديد؟

وإذا نَسب إنسان ما تعليماً خاطئاً لأي من القديسين، فما هو هذا التعليم الخاطئ، وما هو التعليم الصحيح عند هؤلاء القديسين، حسب إدعاء الأنبا شنودة. أليس هذا نوع من التدليس في موضوع لا يجوز فيه التدليس وهو العقيدة.

لقد سقط عنوان كتاب الأنبا شنودة "بدع حديثة" وأُعتبر مجرد مانشيت لصحفي مبتدئ؛ لأن من يكتب وينسب تعليمه للقديسين، يكون وهؤلاء القديسين علي "تواصل" فيما يكتب، ويكون التاريخ الكنسي هو بيئة الكتابة، فالأمر إذن ليس "بدع حديثة" بل تعليماً متصلاً بما هو قديم في تاريخ الكنيسة.

واتهام ثالث:

"إما بعدم فهمهم لما يقوله القديسون،
أو بسبب سوء ترجمة لأقوالهم".

هذا الاتهام، رغم عدم صدقه، يضع الأنبا شنودة أمام مسئولية جسيمة لا يقدر عليها، وهي أن عدم فهم هؤلاء الذين يكتبون لما يقوله القديسون يجب إثباته بالنص، لأن النص هو الحجة الدامغة التي تؤكد عدم الفهم. وسوء الترجمة هو بدوره إدعاء له أهمية، إذا كان صاحب الإدعاء يعرف اللغات القديمة، وبالذات اليونانية، لكي يقدم ترجمة صحيحة جيدة تفتح باب الحوار، وتعيد المارقين إلى حظيرة الأرثوذكسية... لكن من خلال ٢٢٤ صفحة لم يقدم لنا الأنبا شنودة نصاً واحداً يؤكد فيه الإدعاء بعدم الفهم. أما الشق الثاني من الاتهام وهو سوء الترجمة، فلم يقدم مثالاً واحداً عن هذا السوء، فهو اتهام عجيب لا يقبله إلاَّ نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية.

إذن كان جوهر الموضوع هو ما ذكره الأنبا شنودة نفسه:

١ــ نسب الأخطاء للقديسين.

٢ــ عدم فهم الآباء.

٣ــ سوء ترجمة النصوص.

فقد حدد الأنبا شنودة الثالث بنفسه دائرة البحث، وأصبح من الضروري أن يحصر كتابه في النقاط الثلاث السابقة، ولكنه تركها غامضة لعله بهذا الغموض يكسب أرضاً يقف عليها في مواجهة القارئ القبطي، لكي يحشد الجماهير وهو ما تخسره الكنيسة والإيمان نفسه،لأن غموض الإتهام هو أسلوب حكومات القمع والأنظمة الشمولية.

## عفريت اسمه الغرب

وعندما ترك الدائرة الأولى دخل دائرة ثانية:

"بعضهم عاش في بلاد الغرب، وتأثر بالانحرافات الفكرية التي فيه".

ولن نسأل ما هي هذه الانحرافات الفكرية؛ لأن الأنبا شنودة الثالث لم يقدم لنا قائمة بهذه الانحرافات. وهذا اتهام "عبثي" يدق باب الخوف من الغرب. والموجة المعادية للغرب، وهي موجة غامضة، لا يمكن تحديدها في مساحة الفكر اللاهوتي بالذات.

واتهام آخر:

"هناك مؤامرة آتية من الغرب يحركها قوم جهلاء لا يعرفون كيف يترجمون".

وهو هنا لم يقل لنا شيئاً عن اللغة التي يترجم منها هؤلاء. ثم بأسلوب صحافة هابطة يقول:

"والبعض الآخر لم يذهب إلى البلاد الغربية، ولكنه قرأ الكتب التي أصدرها الغربيون وتأثر بها واعتنقها وأراد نشر ما يعتنق".

وهذا اتهام زئبقي لأنك لا تعرف:

١ــ الانتماء العقيدي لهؤلاء الغربيون هل هم ملاحدة أم بروتستانت أو كاثوليك أم... الخ، فالغرب ليس قطعة جبنة واحدة، هو غربٌ متنوع في كل المجالات، ومن ضمن هؤلاء الذين يعيشون في الغرب أساتذة لاهوت أرثوذكسي في باريس (معهد

القديس سرجيوس)، ونيويورك (معهد فلاديمير)، وبوسطن (معهد الصليب المقدس لليونان).

٢ــ وأخيراً توقف عند فئة "البعض يحب الرأي الجديد. الشاذ.. الخ".

هكذا تجد نفسك أيها القارئ أمام دوامة من الغموض والعمومية لا تختلف عن أسلوب الأنظمة الشمولية التي عرفناها في التاريخ المعاصر، الفاشية النازية، الشيوعية... أنت عدو؛ لابد من التخلص منك. وكلما كبرت قائمة الاتهامات وطالت، صدق ضعاف العقول والدهماء وعابدي الأوثان أن هناك مؤامرة آتية من الغرب، ومن قوم يجهلون ولا يعرفون كيف يترجمون.

وبات من الواضح أن المقدمة لا تطرح على القارئ المنهج التاريخي واللاهوتي، بل ادعاءات بلا دليل، كانت تحتاج إلى دليل يؤكد صدق ما يذكره الأنبا شنودة الثالث، لاسيما عبارة "عدم فهم" ما ذكره القديسون... مع غياب صدق المؤلف يفتح هذا الغياب باب احتمالات كثيرة، ولكننا لا نريد أن ننساق وراء أي استدلال، مهما كانت قوته، لأننا لا يجب أن نقع في ذات الخطأ وهو الاتهام بلا دليل.

لكن يبرز السؤال ما هو منهج الأنبا شنودة الأرثوذكسي الذي جعله يحدد نوع البدع بأنها حديثة؟ أهي حديثة لأنها ظهرت في عصره هو فقط؟ أم حديثة لأنها ضد الأرثوذكسية التي مر عليها ما يقرب عن ١٩٠٠ سنة؟ ما هي خصائص الأرثوذكسية التي تجعل أي تعليم بدعةً حديثة؟

ونظراً لأن الأنبا شنودة لم يفصح عن هذه الخصائص، نضعها نحن هنا في هذه النقاط:

**أولاً**: التعليم المضاد للتسليم الرسولي المعروف، وهو معروف لنا لأنه مدون في كتابات الآباء وصلوات الكنيسة وقرارات المجامع وتفاسير الآباء، وهو ما لم يقدمه الأنبا شنودة.

**ثانياً**: التعليم المضاد لنصوص وكلمات الكتاب المقدس نفسه، ليس كما يشرحها أي مؤلف، بل كما شُرحت في عظات وتفاسير الآباء مثل ذهبي الفم.

**ثالثاً**: وضع نصوص صريحة كاملة غير مبتورة – هذه أمانة – تحدد الفكرة الخطأ، ومن ثمَّ مقارنة هذه الفكرة بما هو ثابت في التسليم.

ولكن هيهات... لقد تحوَّل الكتاب كله إلى اجتهاد شخصي خاص بالأنبا شنودة الثالث نفسه، وانعدمت فيه كل بارقة أو وميض أمل في وضع أساس رسولي واضح يؤكد البدعة التي وقع فيها هؤلاء القوم.

أسلوب الأنظمة البوليسية "أنت عدو نظام الحكم" وبعد ذلك تأتي الأدلة.

## كاتب مجهول يُحاكم غيابياً

هذا مثال عن كاتب مجهول اتُهِم ببدعة حددها الأنبا شنودة في عبارات مبتورة:

"كاتب سفر التكوين ينسب إلى الله عقوبة الإنسان ومعاناته... الخ".

ومن هذه العبارة يستدل الأنبا شنودة الثالث على أن صاحب هذه العبارة لا يؤمن بالوحي (ص ٨).

لكن لابد من وجود كاتب لسفر التكوين، وإلاَّ كيف وصل هذا السفر إلينا، ثم يأتي الحكم. لقد تصور أن "عبارة كاتب سفر التكوين" تعني أن صاحب هذه العبارة ليس مسيحياً ولا حتى يهودياً.

**هل ذكر سفر التكوين كلمة عقوبة؟**

الحجة الدامغة يجب أن تكون بنص سفر التكوين نفسه. ولكن مع غياب النص أو بالحري عدم وجوده بالمرة يصبح إقحام عبارات أي مؤلف على أي نص، نقطة تفسيرية قد تكون صحيحة وقد تكون خطأ.

**النص هو الحَكَم.**

هل استخدم سفر التكوين كلمة "عقوبة" في مأساة الطوفان أو سدوم وعامورة... الخ. لم يذكر سفر التكوين أن هؤلاء عقابهم الله. وأصبح تفسير النص مسألة تفسيرية يجوز الاختلاف عليها ويصبح الإختلاف علي تفسير الكتاب موضوعاً يُناقش حسب قواعد التسليم الآبائي.

## خطأ شائع مصدره تعليم الشيع البروتستانتية:

وقع الأنبا شنودة في خطأ شائع في كتابات الشيع (البروتستانتية) وهي عبارة الرسول "أجرة الخطية هي موت" (رو ٦: ١٣). وحسب قواعد الأعراب، الخطية هي التي تدفع الأجرة وليس الله. هذا ما يذكره الرسول بولس نفسه ابتداء من الآية ١٢ في الإصحاح الخامس.

"بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم.
وبالخطية الموت... الخ".

فكيف انتقلت الأجرة من الخطية نفسها إلى الله حسب عبارة الأنبا شنودة الثالث:

"أي موتهم هو حكم من الله، الذي حكم بأن أجرة الخطية هي موت" (ص ٩).

وعندما يفرض الأنبا شنودة الثالث فكره على الكتاب المقدس نفسه؛ لكي يصبح فكره هو الحكم الأول والأخير... يتعذر الحوار بل يصبح حتى تصحيح الخطأ مستحيلاً.

**ما هو جوهر الخلاف إذن؟**

١- يتفق الأنبا شنودة الثالث مع هذا الشخص الغامض بأن الإنسان اختار طريق الموت بحريته.

٢- يتفق مع المؤلف الغامض على النتيجة وهي حسب عبارة الأنبا شنودة الثالث نفسه :

"فإن كان الإنسان بحريته قد اختار الموت. فإنما اختار قصاص الله على الخطية بالموت" (ص ٩).

حسناً النتيجة واحدة وهي اختيار الموت، فأين البدعة في ذلك؟

مصدر الموت مختلف، وهو حسب المؤلف المجهول هو سعي الإنسان بنفسه إلى الموت، وحسب الأنبا شنودة هو الله نفسه.

## التصور الشخصي وتفسير الكتاب المقدس

لا يجوز أن يصبح تصور أي شخص هو الحكم؛ لأن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لها تاريخ – تسليم – آباء – مجامع.

ولكن حيث أن المؤلف الغامض علي اختلاف شخصي مع الأنبا شنودة، تحول الخلاف الشخصي إلى هرطقة.

وحسب الأنبا شنودة الثالث، هذا قصاص من الله، وعبارة قصاص لا وجود لها في الكتاب المقدس وهي كلمة قرآنية خاصة بالإسلام.

ويبقى السؤال الهام: أين البدعة وما هي العقيدة التي أنكرها المؤلف الغامض حتى ينضم إلى قافلة الهراطقة؟

## التصور الشخصي حكم ظالم لأنه بلا مرجعية

السبب في ذلك هو أن أي تصور شخصي هو تحوّل من خلاف على الإيمان المسلم إلى خلاف شخصي خاص بالكلمات التي تُختار ثم تُوضع بعناية لإثبات الجرم، لأن الجرم مطلوب قبل الحقيقة.

يقول المؤلف المجهول:

"لكن الله ليس هو العشماوي منفذ الأحكام... الخ".

المؤلف ينكر أن يكون الله عشماوي ولكن رغم هذا الإنكار يتصور الأنبا شنودة الثالث:

"هذا التهكم في استعمال كلمة (عشماوي) لا يليق بالحديث عن الله".

في الكتاب المقدس نفسه نجد عبارات أكثر وقعاً من كلمة عشماوي، مثل: الله يسكر بالخمر وينام. له أنف يتضايق من صلوات الخطاة لأنها تضايق تنفسه مثل الدخان. وأوصاف أخرى كثيرة جمعها ديونيسيوس الأريوباغي في الرسالة ٩ (راجع ملحق الباب الأول).

وهكذا يسقط الاتهام بالتهكم، لأنه اتهام صادر عن رغبة في إبعاد المؤلف عن دائرة الحياة الكنسية. و لم يذكر الأنبا شنودة الثالث أن المؤلف حُرم من التناول وهو في غرفة الإنعاش بين الحياة والموت بعد عملية في القلب.

الاتهام يأتي أولاً، وبعد ذلك صياغة الأدلة، والأدلة هنا هي عبارات عامة ليست أدلة، بل محاولة البحث عن كلمة هنا وعبارة هناك. والمنهج هو منهج شخصي بلا تاريخ، بلا لاهوت، واتهام بالهجوم علي عقيدة من العقائد. ويصبح الادعاء بأن الأنبا شنودة الثالث يحاكم الفكر لا الشخص ادعاء يصدقه ضعاف العقول.

## ذبائح العهد القديم رفضها الأنبياء

من يقرأ العهدين لا يجد، في العهد الجديد بالذات، عبارة تقول إن الذبائح كانت رمزاً لدم المسيح (بدع حديثة ص ٩). هذه نقطة تفسيرية تعود إلى تفسير الآباء، ابتداء من الشهيد يوستينوس[١] يتمسك بها معظم الآباء في مجال دحض هجوم الغنوصية على العهد القديم باعتبار أنه كتاب لا يخص المسيحية. وقدم الأنبياء – وهنا بالروح القدس نفسه – نقداً حاداً يعكس رفض الله نفسه للذبائح، بل كراهية الله للذبائح. من هنا بالذات جاء التعليم بأنها كانت رمزاً، لكي تسند التعليم الإلهي نفسه الذي نطق به الأنبياء والذي تصدى له الرسول في رسالة العبرانيين.

---

(١) أنظر الحوار مع تريفو اليهودي، حوالي ١٥٠ م.

## كيف قدمت الدسقولية موضوع ذبائح العهد القديم

في الفصل الثالث والثلاثين ابتداء من الفقرة ٩٤ ص ٧٢٤ وما بعدها تؤكـــد الدسقولية ما يلي:

> **"هذا الناموس صالح ومقدس وليس فيه ضيقة على أحد. لأنه يقول: "إنك إذا صنعت لي مذبحاً اصنعه لي من الأرض" (خر ٢٠: ٢٤) ولم يقل "اصنع لي" بل "إذا صنعت" ولم يزدنا ضرراً، بل جعل الأمر تحت سلطاننا – لأنه حر"** (ف ٣٣: ٦٤ ص ٧٢٤).

هكذا تدرك الدسقولية أن المذبح لم يكن وصية بأمر، ويؤكد ذلك ما جاء في الفقرة التالية:

> **"لأن الله ليس بمحتاج للقرابين لأنه فوق كل احتياج بطبيعته، لكن بالحري إذ هو عارف أنه مثل المحب لله الأول هابيل، ونوح وإبراهيم والذين جاءوا بعدهم ــ أنهم، لما تحركت ذواتهم من جهة الناموس الطبيعي، ورَأوا شَاكرين أن يقربوا لله، ولم يفعلوا ذلك بتكليف ــ هكذا أعطى موضعاً للعبرانيين أن يصنعوا هذا ولم يأمرهم، لكن سمح لهم أن يكون ذلك منهم إذا أرادوا هم. وسرَّ بقرابينهم إذ قدموها بضمائر مستقيمة. لأجل هذا قال: "إن كنت تشتهي أن تذبح لي عن هذا فلستُ بمحتاج إلى ذبيحة" لأنه قال: "إني لا أحتاج إلى شيء لي المسكونة وما فيها" (مز ٥٠: ١٢ وإشعياء ١: ١١)"** (ف ٣٣: ٦٥ ص ٧٢٤ ــ ٧٢٥).

وهكذا تقول الدسقولية إن الله لم يطلب الذبائح، ولكنها كانت الشكر النابع من "الناموس الطبيعي، المغروس في قلب الإنسان[١]".

---

**(١) راجع الرسالة الأولي للقديس أنطونيوس الرتبة الأولي "التي تقبل بشارة روح الله" هي رتبة الذين قبلوا وفقاً لناموس الطبيعة والحرية الموضوعة فيهم" (١: ١).**

وجاء هذا التعليم بنفس الروح ولكن بكلمات أشد في عظات القديس يوحنا ذهبي الفم ضد المتهودين التي نشرت في المجلد ٦٨ من مجموعة آباء الكنيسة التي تصدرها الجامعة الكاثوليكية في واشنطن وهي مجموعة العظات الثمانية التي ألقيت في أنطاكية. في العظة الرابعة الفقرة الرابعة يذكر ذهبي الفم:

**"هذا ما فعله الله، فقد رأى أن اليهود يكادوا يختنقون برغبة جنونية للذبائح. ورأى أن لديهم استعداد أن يتحولوا إلى الوثنية إذا منع الله تقديم الذبائح، بل أقول أن الله رأى أنهم فعلاً قد فعلوا ذلك من قبل. فتركهم يقدمون الذبائح. وفي الزمان الذي سمح لهم بذلك يجب أن يكون واضحاً أنه هو المناسبة أو الزمان الذي كانت لهم هذه الرغبة...".**

(Discourses Aagaist Judaizing vol 68, 1979.p 87 - .88)

ويتفق هذا مع ما جاء في الدسقولية في الفقرات (٦٧ - ٧١ ص ٧٢٦-٧٢٧).

فإذا كانت الذبائح في العهد القديم هي "اختيار العبرانيين" وليست وصية وأمر من الله وهو ما يُؤكده ذهبي الفم والدسقولية وآباء آخرون، ولذلك لم تدخل هذه الذبائح في صلوات الإفخارستيا في القداسات الشرقية بالذات، فنحن — إذن — أمام موضوع خاص بالتفسير له أساس تاريخي، وهو الفرق الجوهري بين العهدين، وهو الفرق الذي فصل بين المسيحية واليهودية. والاختلاف هنا علي الذبائح له جذور في كتابات "ماكنتوش" زعيم شيعة الأخوة والمصدر الرئيسي لفهم الذبائح في فكر الأنبا شنودة. ولكن في كل كتب العهد القديم، بل في تفاسير العهد القديم لعلماء اليهودية السابقين واللاحقين لظهور وانتشار المسيحية لا توجد أشارة واحدة ولو ضمنية تقول إن هذه الذبائح كانت تقدم "ترضية" للعدل الإلهي وإخماد نار الغضب المشتعلة التي

حولت الابن له المجد يسوع المسيح إلى رماد حسب تفسير الأنبا شنودة الذي يصرخ علانية – في سادية غريبة – تُطالب بالانتقام والتشفي حتى من المسيح نفسه[١].

وانعدام الحس التاريخي وبقاء تصيّد الأخطاء من عبارات وكلمات لا تحتمل المعاني التي أرادها المؤلف المجهول الذي وُصف بأنه "محارب العدل الإلهي" لا يدرك الأنبا شنودة أن مقدمة الدسقولية التي كتبها الأنبا شنودة نفسه هي ذات المصدر الذي ينفى تماماً حاجتنا إلى التطهير بالاغتسال[٢]، بل أضاف محقق النص د. وليم سليمان نص رسالة القديس أثناسيوس إلى آمون (راجع ص ٧٥٠).

وتضيف الدسقولية :

**"فلأجل قساوة قلوبهم ربطهم بهذا، بالذبيحة والامتناع والتطهير... أما أنتم أيها المؤمنون.. فقد حلكم من الرباطات وجعلكم أحراراً من العبودية (يوحنا ١٥: ١٥)".**

وتعيد الدسقولية تعليم الأنبياء عن رفض الذبائح (عاموس ٥: ٢٣) وهو صدى لأشعياء (١: ١١).

## من هو محارب العدل الإلهي؟

لست أدري ما هو نوع العدل الإلهي حسب فكر الأنبا شنودة الشخصي والخاص؟ ولماذا حصر الأنبا شنودة العدل الإلهي في نقطة واحدة وهي العقوبة والتشفي؟

---

(١) راجع خمس تأملات في أسبوع الآلام صفحات ١٦٠ – ١٧٠ .

(٢) "فإن كنت أيتها المرأة المقيمة في الدم سبعة أيام تفتكرين أنك صرت مقفرة من الروح القدس – لهذا السبب فإنك إذا مت بغتة تذهبين وقد صرت غريبة من الروح القدس، وتعوزك الدالة والرجاء الكائن لنا عند الله. (٣٣:٩٩ ص ٧٤٠) وافتراق الروح القدس ليس بسبب الإفرازات بل بإنكار الإيمان لأن الروح القدس "يلازم الذين يقتنونه لهم ماداموا مستحقين مجيئه..." (٣٣:١٠١) وبعد ذلك فأنت أيتها المرأة إن كنت كما تقولين بغير روح قدس في أيام عادات النساء (العادة الشهرية ) فالروح النجس ملأ (قلبك) (٣٠٣:١٠٣ ص ٧٤٢). وفي هجوم الأنبا شنودة على كاتب هذه السطور نسب إلينا كلمات أبينا القديس أثناسيوس ليس من قبيل السهو والخطأ، بل لكي يخدع القارئ الذي لم يقرأ أثناسيوس، وبذلك يضع القديس أثناسيوس نفسه معي في قفص الاتهام.

# العدل الإلهي كما شرحه مار أسحق السرياني

الميمر الأول في محبة الله والزهد والراحة في الله[١]

**حركة المحبة في النفس:**

**١- النفس المحبة لله تجد راحتها فيه وحده فقط. بادر إلى حلّ كل رباط خارجي من ذاتك، حينئذ تقدر أن تربط قلبك بالله؛ لأن الانفصال من الهيولي (أي المادة) يسبق الاتصال بالله.**

**٢- الخبز يُعطى للطفل بعد الفطام، والإنسان الذي يريد أن يحظى بالإلهيات ينبغي له أولاً أن يتغرب عن العالم، كما يتغرب الطفل عن ثدي أمه.**

**٣- الأعمال الجسدانية تتقدم الفلاحة النفسانية كتقدم التراب علي النفس المنفوخة في آدم[٢]. والذي ليس له أعمال جسدانية لا يقدر أن يقتني العمل النفساني؛ لأن الثاني يتولد من الأول كما تتولد السنبلة من الحبة المجردة. ومن ليس له العمل النفساني قد عَدِم المواهب الروحانية. لأن الأتعاب والأحزان الزمنية من أجل الحق لا تقاس بالنعيم المُعُدّ للعاملين بالفضيلة[٣]. كما أن أغمار السرور تتبع باذري بذار الدموع[٤]، هكذا الفرح يتبع الأتعاب والأعمال من أجل الله. والخبز الذي من العرق يلذّ للفلاح، وهكذا الأعمال التي من أجل البر تبهج القلب الذي قد قَبِل معرفة المسيح.**

**المثابرة الروحية**

---

(١) رجعنا للنص الذي حققه الأب مينا المقاري وهو الذي كان قد نسخه القمص مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس)، كما راجعنا الترجمة الإنجليزية **The Ascetic Homilies of St. Isaac The Syriane P29ff** وحسب الترقيم السرياني، الميمر الأول في الترجمة العربية هو الرابع في الأصل السرياني.

(٢) تك ٢: ٧.

٣ - رو ٨: ١٨

٤ - مز ١٢٥: ٥

٤- أصبر علي المحقرة والاتضاع بفكر وقصد الفضيلة لكي تفوز بدالة القلب عند الله. كل كلمة صعبة قاسية يحتملها الإنسان بمعرفة بدون ذنب (أساء به إلى مخاطبه)، فإنه في ذلك الوقت يقبل علي رأسه أكليل شوك من أجل المسيح، وطوباه لأنه في وقت لا يشعر به يُتوَّج بتاج لا يلمّ به فساد.

٥- الهارب من التشرف (أي التكريم) بمعرفة، هذا قد أحس في ذاته برجاء العالم المزمع. من قال إنه قد ترك العالم، وهو مع ذلك ينازع الناس في شيء ما، لئلا يعوزه شيء ما لأجل راحته، فهو ضرير بالكلية؛ لأنه قد ترك الجسد كله بإرادته، بينما هو يخاصم ويناقض من أجل عضو واحد من أعضائه.

الرحمة والعدل.

٧- إذا وضعت علي نفسك أن تتدبر بأفعال الرحمة، فعوِّدها أن لا تلتمس العدل في أمور أخري، لئلا تكون بمنزلة من يعمل بيدٍ واحدة ويفرّق بالأخرى؛ لأنك أنت مضطر هناك إلى الشفقة، وإلى سعة القلب. واعلم أن الصفح عن ذنوب المذنبين إلينا ليس هو عمل العدل؛ حينئذ ستعاين سلاماً يسري في فكرك من كل ناحية. أي أنك إذا كنتَ تتدبر في طريقك فوق الواجب والعدل، حينئذ ستقترن بالحرية في كل أمرٍ.

٨- قال أحد القديسين في هذا المعني: "إن الرحيم إن لم يكن عادلاً فهو أعمي". أي أنه ينبغي له أن يمنح الآخرين مما تعب فيه بنفسه وأكتسبه بالعدل لا مما أقتناه بتوسط الكذب والجور والتحايل. وقال أيضاً في موضع آخر: "إن كنت تؤثر أن تزرع في (حقل) المساكين فازرع مما يخصك ؛ لأنك إن زرعتَ من بذار الآخرين، فاعلم أن ذلك أمرّ من الزوان".

الرحمة فوق العدل.

٩- وأنا أقول إنه إن لم يرتفع الرحوم فوق العدل فليس برحيم. أعني أنه لا يعطي الناس مما يخصه فقط، بل ويكون ذلك بفرحٍ واغتباط، صابراً علي ظلم قومٍ ثم محسناً إليهم. فإذا ما غلبت العدل بالرحمة، حينئذ تتكلل، لا بأكاليل أبرار الشريعة (أي الناموس)، بل بإكليل الكاملين في الإنجيل. لأنه إعطاء المرء للمساكين مما يخصه وإلباسه المُعادي (أي كسائه) ومحبته للقريب كذاته، وألا يظلم ولا يكذب، أمور قد أتي بها الناموس القديم. أما كمال بشارة التجسد فيأمر قائلاً: "الآخذ ما لك لا تلتمسه منه، وأَعطِ كل من سألك". وليس ينبغي لك فقط الصبر علي الجور من جهة المقتنيات وبقية الأمور التي تأتي عليك من الخارج، بل وأن تبذل النفس من أجل الأخ. لأن هذا هو الرحيم، وهو ليس الذي يرحم أخاه بما يعطيه له فقط، بل هو من رأي أخاه محزوناً أو سمع أنه كذلك، فالتهب قلبه، هذا هو رحيم بالحقيقة. ومثل هذا أيضاً من لطمه أخوه فلم يُقدم علي إجابته بكلمة، ولم يحزنه بشيء.

سقطة الزعامة

١٣- المجد الفارغ هو خادم الزنا، إذا ما تدبر (الراهب) بالعظمة، أما الاتضاع فيتبعه النسك والانقباض. المجد الفارغ يتبعه الانفساخ (أي السِّعة) والتيه (أي العُجب)، أما الاتضاع الذي من الانقباض الدائم فيقود إلى الثاؤريات ويسلّح القلب بالعفة. المجد الفارغ، فهو يأتي من مداومة طياشة الفكر بسبب مصادفة الأمور، يكتر ذخائر سمجة ويدنس القلب؛ فينظر طبائع الأمور بنظر فاسق، ويلهب العقل بأفكار نجسة. أما الاتضاع فبثاؤريتها (أي بتأمل طبائع الأمور) ينقبض انقباضاً روحانياً، ويحرك مقتنية علي التسبيح والتمجيد.

**١٤- لا تقايس صانعي الآيات والمعجزات والقوات في العالم بالساكتين بمعرفة في الهدوء. أحبب بطالة السكوت أكثر من إشباع جياع العالم، وردّ أمم كثيرة إلى السجود لله تعالي. لأن الأفضل لك أن تفك ذاتك من رباط الخطية من أن تعتق عبيداً من عبوديتهم، ومن سجن أسرهم. اصطلح أنت مع ذاتك باتفاق الثالوث الذي فيك، أعني الجسد والنفس والروح، أكثر من أن تصالح المتغاضبين بتعليمك. لأن الثاؤلوغس يقول: "حسن هو الكلام عن (أمور) الله تعالى من أجل الله، وأجلّ من هذا أن يطهّر الإنسان ذاته لله سبحانه. الأصلح لك أن تكون قليل الكلام، مع أنك عالم ومحنّك وذو معرفة من تجربة الأشياء بداخلك، من أن تفيض أنهار تعاليم مع حدّة عقل من اكتساب السماع (أو قراءة) الأسطر. الملائم لك أن تهتم بإقامة ميتوته نفسك من الآلام إلى الخطوة بالله، أكثر من إحيائك أمواتاً.**

## العدل الإلهي و الخطاة في الكتاب المقدس

يقول إبراهيم لله: "أفتهلك البار مع الأثيم"... حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟

وجاء رد الله عكس ما هو معروف في القانون الوضعي: "فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين باراً في المدينة فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم" (تكوين ١٨: ٢٣ – ٢٦).

وحسب القانون الوضعي والعدل الذي يعاقب، لا يصفح العدل عن الأشرار من أجل عشرة وهو العدد الذي وصل إليه إبراهيم (تكوين ١٨: ٣٢).

هل هذا هو عدل المحاكم، أم عدل من نوع آخر وهو العدل الإلهي؟

وعندما يصف داود وصايا الله بأنها عدل (مزمور ١١٩: ١٧٢)، فالوصية عادلة لأنها تحدد الاتجاه الصحيح للحياة، وهو أحد معاني العدل. فهل بَحث وحَلّل الأنبا شنودة الثالث معاني العدل في الكتاب المقدس؟ ولأنه لم يفعل، نفعل نحن:

**١**– عدل الراعي الصالح، وهو أحد أناشيد الخلاص في (حزقيال ٣٤: ٧ – ١٦)، لأن "غنمي قد صارت غنيمة.. ومأكلاً لكل وحش الحقل.. ولكن الراعي الصالح الله سوف يسترد القطيع ويأت بها إلى المراعي الخضراء، ولذلك يقول الله: "أنا أرعى غنمي. يقول السيد الرب، أطلب الضال وأسترد المطرود وأجبر الكسير وأعصب الجريح. وأرعاها بعدل".. (٣٤: ١٦). أليس هذا هو عدل الخلاص.

**٢**– عدل خلاص يقول عنه داود "عليك يا رب توكلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر بعدلك نجني " ( مزمور ٣١: ١)، وهو بعد ذلك يصرخ "عند كل أعدائي صرت عاراً.. نجني من يد أعدائي... خلصني برحمتك " (٣١: ١١ – ١٦). فهل حدث تصادم بين عدل الله ورحمته؟ الجواب بكل تأكيد لا.

**٣**– عندما منع أسقف التعليم الأنبا شنودة الثالث تدريس اللغة العبرانية – خرجت أجيال لا تعرف أن العدل = صدق في العبرانية، وهي رد المسلوب وخلاص المقهور، وإعادة الساقط إلى ما كان عليه[1].

ولذلك في مزمور٣٥ عندما يقف داود أمام الأعداء يقول للرب بكل جسارة: " استيقظ وانتبه إلى حكمي يا إلهي و سيدي، إلى دعواي أقض لي حسب عدلك يا رب" (٣٥: ٢٣– ٢٤ ). ولذلك يتحول العدل الإلهي الذي يخلص كما يقول نفس المزمور "ولساني يلهج بعدلك. اليوم كله يحمدك" (٣٥: ٢٨).

**٤**– العدل يكتشفه الإنسان عندما يحفظ وصايا الله، يقول المزمور: "علمني يا رب طريق فرائضك... هاأنذا قد اشتهيت وصاياك. بعدلك أحيني" (١١٩: ٣٣– ٤٠) و لم يقل بعدلك عاقبني.

---

(١) **حتى في اللغة العربية نفسها "يعدل" أي يعيد ما أنحرف إلي ما كان عليه سابقاً.**

**٥**– عدل يستجيب صلاة المتضايق وهو في مزمور١٤٣: ١-١١. ولكن لاحظ تداخل العدل مع الأمانة: "يا رب أسمع صلاتي وأصغِ إلي تضرعاتي بأمانتك استجب لي بعدلك (١٤٣: ١٠)، ثم "بعدلك تخرج من الضيق نفسي" (١٤٣: ١١)

**٦**– العدل والحق والرحمة والأمانة، هذه هي صفات عمل الله كما وردت في مزمور ٨٩. ثم "العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك" (٨٩: ١٥). الله لا يتعامل، حتى مع الخطاة، كأنه خاضع للعدل بل أمامه الرحمة والأمانة، ولذلك بعد هذا التسبيح يتقدم المزمور بشكواه أمام الله نفسه: "حتى متى يا رب تختبئ .. حتى متى يتقد كالنار غضبك. أذكر كيف أنا زائل. إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم ... أين مراحمك الأولى يا رب .." (٨٩: ٤٦ – ٤٩). وهكذا عندما يحتمي الإنسان بعدل الله نفسه يجد الرحمة والأمانة، لأن الله كما يقول أشعياء "يقضي للمساكين بالعدل" (أشعياء ١١: ٤).

**٧**– عدل، معاملة حسنة، يوصي بها الرسول بولس: "قدموا للعبيد العدل والمساواة عالمين أن لكم أنتم أيضاً سيداً في السموات" (كولوسي ٤: ١). وعندما يقف العبد مع السيد على قدم المساواة، هل هذا عدل عرفه القانون الروماني السائد في زمان الرسول؟

الجواب بكل يقين لا.

هل يفتح لنا هذا مجال الاتهام بأن الأنبا شنودة الثالث محارب الرحمة طالما أنه يتهم إنساناً له رأي يشرح به عدل الله، ويعترف بوجوده، فكيف يصبح "محارب العدل الإلهي"؟.

## نصيحة أخرى لمار اسحق السرياني

**"كن مبشراً بصلاح الله لأن الله يسود (يحكم) عليك رغم عدم استحقاقك ورغم أن دَينك له عظيم إلاَّ أنه لا يطلب منك أن تدفع ما عليك، ومن الأعمال القليلة (الصغيرة) التي تقوم بها**

**يغدق عليك مكافآت أعظم. لا تقل إن الله عادل؛ لأن عدله لم يستعلن في الأمور الخاصة بك، وإذا كان داود يصفه بأنه عادل ومستقيم (بار) (مزمور ٢٤: ٨، ١٤٤: ١٧). فإن ابنه أعلنه لنا أنه صالح ورحيم (شفوق). هو صالح – كما يقول للأشرار (لوقا ٦: ٣٥).**

**كيف تدعو الله عادلاً بعد أن تقرأ فقرات السفر الخاصة بالأجرة التي أعطيت للعمال (الفعلة)؟ فقد قال: "يا صديقي أنني لم أظلمك فقد دفعت لهذا الأجير ما اتفقت عليه معك. أم أن عينيك شريرة لأنني أنا صالح" (متى ٢٠: ١٣ – ١٥).**

**كيف يمكن لأي إنسان أن يصف الله بأن عادل بعد أن يقرأ الفقرات الخاصة بالابن الضال الذي بدد ثروته بالعيش المسرف. وكيف بالندم الشديد الذي أعلنه أمام أبيه، جرى إليه أبوه ووقع على عنقه وأعاد إليه سلطانه على ثروته (لوقا ١٥: ١١ وبعده).**

**لم يقل أحد آخر سوى ابن الله ذاته هذه الأمور عنه، حتى لا يشك أحد فيها، لأنه (الابن) جاء لكي يشهد له.**

**أين هو عدل الله لأننا إذ كنا بعد خطاة مات المسيح عنا (رو ٥: ٨)**[1].

## مثال آخر عن الجرم قبل الدليل

يذكر الأنبا شنودة الثالث ما يلي:

ويعود المؤلف فيقول: "أن الله – الذي هو حبّ وعطاء كله – لا ينتج شراً ولا موتاً". إذن من بيده الموت؟

إن الحياة والموت بيد الله هو يميت ويحيي.. (ص ١٠ من كتاب بدع حديثة).

---

[1] راجع العظات لمار اسحق السرياني في الترجمة الإنجليزية

**The Ascetical Homilies of St Isaac the Syrian, 1984 p 250 – 251.**

ومحاولة البحث عن خطأ جعلت أسقف التعليم سابقاً، ينسى عبارة الرسول بولس نفسه: "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذات الذي له سلطان الموت أي إبليس[١]".

عجيب! كيف حدث هذا الاتفاق الغريب بين الله والشيطان؟

هل الشيطان له سلطان الموت والله له سلطان الموت؟ كلاهما معاً يتقاسمان ذات السلطان الواحد؟

## المنهج الأرثوذكسي هو عودة إلى المرجعية

**١**– يقول سفر الحكمة: "خلق الله الإنسان لحياة أبدية، وصنعه على صورته الخالدة ولكن بسبب حسد إبليس دخل الموت إلى العالم (٢: ٢٢) (الترجمة الموحدة).

**٢**– القديس أثناسيوس:

ويقتبس القديس أثناسيوس نفس الكلمات في كتاب تجسد الكلمة.

**"الله لم يكتف بأن يخلقنا من العدم،**
**لكنه وهبنا أيضاً بنعمة الكلمة أن نحيا مثل الله.**
**ولكن البشر حولوا وجوههم عن الأمور الأبدية،**
**وبمشورة الشيطان تحولوا إلى أعمال الفساد الطبيعي (العدم)،**
**وصاروا هم أنفسهم السبب فيما حدث لهم من فساد الموت.**
**ولأن الكلمة سكن فيهم،**
**فإن فسادهم الطبيعي (العدم) لم يمسهم،**
**كما يقول سفر الحكمة "الله خلق الإنسان لعدم الفساد، وجعله**
**على صورة أزليته، لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم ..."**
(فصل ٥: ١ – ٢).

**٣**– صلاة الصلح في القداس الباسيلي

---

[١] هل يجهل الأنبا شنودة إن الله لم يخلق الموت لأن خلقة الموت هو تعليم إسلامي ورد في عدة نصوص قرآنية.

**"يا الله العظيم الأبدي الذي جبل الإنسان على غير فساد، والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته ..."**.

## المعطيات العقائدية

الموت = الخطية = ثمرة الخطية

الموت دخل بحسد إبليس

الإنسان هو الذي جلب الموت على نفسه.

إذن الموت لم يكن "عقوبة"، ولكنه كما يذكر معلمنا العظيم أثناسيوس هو: حكم الموت (تجسد الكلمة ٧: ١)، راجع أيضاً (٦: ١ – ٢).

والفرق بين الحكم والعقوبة كبير، ولكن الذي يهمنا هنا الآن أن الفادي جاء لكي يبطل الحكم، لا لكي يحمل عقوبة هو مصدرها، ولذلك وبدون العودة إلى كل كتابات القديس أثناسيوس نكتفي بالعبارات التالية:

**"من ذا الذي يستطيع أن يعيد للإنسان تلك النعمة (الصورة الإلهية) ويرده إلى حالته الأولى إلا كلمة الله الذي خلق كل شيء من العدم في البدء"** (تجسد الكلمة ٧: ٤).

وأيضاً:

**"لأنه كان هو وحده القادر أن يأت بالفاسد إلى عدم الفاسد"** (تجسد الكلمة ٧: ٥).

لقد كانت الخطية هي تعدي الوصية، وكما يقول القديس أثناسيوس:

**"لأنه (الكلمة) رأى أن الجنس العاقل يهلك، وأن الموت يملك عليهم بالفساد ورأى أن التهديد بالتعدي قد تمكن منهم وسانده الفساد"**

διακρατουσαν/ والتهديد

Diakratousan = threat

## العودة إلي تعليم العصر الوسيط ليس عودة إلى الأرثوذكسية بل اغتراب تام عنها:

لقدم قدمنا بحثاً مفصلاً عن هذا التعليم الوافد من الغرب في كتابنا "موت الرب المحيى"[1] والذي دخل الكنيسة القبطية مع محاضرات الأب أوجين دي بليسي الذي تطوع الأنبا بيشوي ونشرها باسمه، ولما قاومته دب الحقد في قلبه ولا تزال النسخة التي وضع عليها اسمه في يدي مع وثائق أخري سوف تُنشر.

### تصور ساذج غريب: خطية غير محدودة

هل يدرك الأنبا شنودة ومعه الأنبا موسي أن تعبير "خطية غير محدودة" ينزع عن "الخطية" أصلها الإنساني ويحول الخطية إلى "عمل إلهي" لأن الله حسب تصور الأنبا شنودة نفسه غير محدود ...!!!

كيف أستطاع الإنسان بالخطية أن يعمل عملاً غير محدود؟

وإذا تحولت الخطية إلى طبيعة إلهية غير محدودة، فما هي التداعيات الخطيرة؟ لقد أصبحت الخطية تزاحم الله نفسه.

وإذا قال أيهما الأنبا شنودة أو الأنبا موسي أنها غير محدودة لأنها ضد الله غير المحدود، فالجواب هو أن الخطية كعمل إنساني لم يقع على أو يصيب الطبيعة الإلهية. ففي كل الكتاب المقدس نفسه لا توجد عبارة أو كلمة واحدة تقول: "الخطية غير محدودة"، ولا وجود لهذه العبارة أو مثيلها حتى عند الآباء الأرثوذكس حتى نصل إلى أنسلم رئيس أساقفة الكنيسة الأنجليكانية (١٠٣٣- ١٠٩٩) وهو أول من قال إن الخطية تحتاج إلى ترضية تليق بمقام الله، ولذلك جاء الابن لكي يقوم بهذه الترضية. ولكن أنسلم لم يسقط في خطأ الأنبا شنودة الذي أعتبر الخطية غير محدودة؛ لأن

---

[1] الكتاب متوفر مجاناً علي موقع "الدراسات القبطية" www. Coptology.com

الترضية غير المحدودة تليق بمقام وكرامة الله، وليس لأن الخطية غير محدودة، بل الترضية فقط لا الخطية.

## جوهر التعليم والمعطيات الأرثوذكسية هي:

* تجديد الساقط، وهو عمل الابن الخالق الإله.

* رد الصورة، لأن الإنسان اشترك في صورة الكلمة نفسه (تجسد الكلمة ٦: ٤)، وليس رفع حكم الموت فقط.

* الإله الذي يبطل شريعة أو ناموس الموت (تجسد الكلمة ٨: ٤) ولذلك أبطل فساد الموت (٩: ٤، ١٠: ١ ــ ٢).

* لقد كانت حاجتنا إلى إلوهية الرب المخلص هي قاعدة الخلاص، وليس دفع الثمن للآب من فادي غير محدود بسبب عقوبة غير محدودة لخطية غير محدودة، فأبطلت هذه المقولة إلوهية الرب – عن جهل – ولا اعتذار لهؤلاء لأنهم تركوا المنهج، وبذلك قدموا معطيات أخرى لا وجود لها في تراثنا الأرثوذكسي بالمرة وعلهم تقديم الدليل.

## النتـــــائج:

نرجو من القارئ مراجعة كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس لكي يرى عدم وجود ذكر بالمرة لكلمة "عدل الله" ولا "العقوبة"، فهل كان أثناسيوس العظيم الذي وحده وُصِفَ بـ "ثالث عشر الرسل" هو أيضاً محتاج لأن يتعلم الأرثوذكسية من الأنبا شنودة، ويحتاج إلى التوبة وكان يجب وضع اسمه في كتاب بدع حديثه. أم أن العكس هو صحيح، فقد تراكم لاهوت العصر الوسيط الذي يخنق حياة الذين يتمسكون به.

**ماذا بعد ذلك**

لقد أرغمنا الأنبا شنودة الثالث نفسه على كتابة هذا الرد؛ حتى لا يصبح كتابه "مرجعاً" يعود إليه من يريد أن يعرف الأرثوذكسية.

## سيادة الرب يسوع على الموت:

أدخل الرب يسوع الموت الذي جلبه الإنسان على نفسه في تجديد الخليقة، لأنه حوله إلى قوة تهدم الخليقة القديمة لكي تقوم الخليقة الجديدة. وذلك تذكره صلوات التجنيز في كل الكنائس الأرثوذكسية.

"الله الأبدي.. الذي أخرج الكل إلى الوجود من العدم. الذي بيده سلطان الحياة والموت، الذي ينزل إلى أبواب الجحيم ويصعد". فقد سبى المسيح الجحيم حسب أناشيد عيد القيامة وصار له السلطان على الموت. "الذي جاء وأنقذنا من فخاخ الموت القاتل بموته المحيي، وجدد الحياة مرة أخرى بقيامته من بين الأموات، وأعطانا عربون القيامة.. والشوكة المرة سحقها بالصليب"[1].

لذلك دخل موت الرب في المعمودية والميرون والإفخارستيا، وهي أسرار الانضمام إلى جسد الرب يسوع (الكنيسة) ولم يكن غريباً أن يذكر تراثنا أن الميرون هو الحنوط التي أعدتها النسوة لجسد الرب والتي دخلت في صنع مسحة الميرون.

## أخيراً: كلمة قصاص:

كلمة عربية قرآنية دخلت إلى المصادر العربية المسيحية في عصر استخدام اللغة العربية (وردت في سورة البقرة ١٧٨ والمائدة ٤٥ وغيرها) هو حكم لا غفران فيه، وهو مبدأ هام في الشريعة الإسلامية لا يخص المسيحية، لأن الإسلام له مبادئه القانونية الخاصة به... ولماذا أستخدم الأنبا شنودة هذه الكلمة بالذات؟ سوف نجيب علي هذا السؤال في الكتاب الثاني.

---

(١) راجع مقالة الأنبا بيشوي عن عقيدة الفداء والكفارة حيث تجد أن الموت سحق المسيح، ولم يسحق المسيح الموت.

# ملحق الباب الأول

## رسالة ديونيسوس الأريوباغي[١]

أيها العزيز تيطس....

الآن أرى من الضروري أن أشرح على قدر استطاعتي لك وللآخرين، الرموز المتنوعة التي استعملت في الأسفار التي أعلنها الله. ومن ينظر إلى هذه الأسفار من الخارج يراهم مملوئين بما لا يصدق وخيال فائق. وهذه بعض الأمثلة عن سمو الله الذي يوصف في سفر بأن له رحم يلد إلهاً بشكل جسداني (مزمور٢: ٧)، وتقول أن الكلمة يأتي من نفس في الهواء من قلب بشري (مزمور ١:٤٥)، وتصف حضن الله الذي فيه أبن الله بشكل جسداني (يوحنا ١:١٨)، وأشكال مادية مستعارة من الأشجار (هوشع ١٤: ٨- رؤ٢:٧- الكرمة في يوحنا ١:١٥) وأوراق الشجر (أشعياء ٦:٢٧) والزهور (أشعياء ٦:٢٧- نشيد٢:١-أشعياء١١:١) وجذور الأشجار (أشعياء ٢:٥٣) وانسكاب المياه من الينبوع (امثال١٨:٤ راجع يوحنا ٣٨:٧- رؤ ١٧:٧) ولمعان نور وبهاء الشعاع (عب ١:٣).

وفي مجال الحياة العقلية التي تخص العناية الإلهية سواء كانت عطاياه، وإعلانه عن ذاته، وقوته، وصفاته، فكل هذه قد وصفت بصفات إنسانية وأحياناً بما هو معروف عن النباتات والأحجار، بل يوصف الله وكأنه يلبس ملابس نسائية (رؤ ١:١٣) أو يحمل سلاح البرابرة (تث ٣٢:٤ - مزمور٣٥:٢- رؤ ١:١٦)، وأحياناً يوصف بأوصاف الفنان أو الصانع مثل الفخاري أو صانع الذهب (أشعياء ٢٩:١٦-

---

[١] الرسالة التاسعة راجع الأعمال الكاملة في سلسلة **The Classical of western spirituality, 1987** ـ راجع ص ٢٨٠-٢٨٣.

٩:٤٥- أرميا١٨:٥- رؤ٩:٢١) وأيضاً (زكريا ١١:١٣- ملاخى ٣:٢- حكمة سليمان ٣:٦). بل أنه يركب الخيول والمركبات (مزمور ٤٥:٦- ١٠٣:٩، حزقيال ١:٢٦-أشعياء ٦:١- دانيال ٧:٩- رؤ٤:٢). بل توضع أمامه الولائم (لوقا ١٢:٣٧) وأحياناً يوصف بأنه يشرب الخمر ويسكر وينام (مزمور٤٤:٣- ٧٨:٦٥)، وماذا نقول عن غضبه (خروج ٤:١٤- ١٥:٧، ٣٢:١٠-٢٢ و عدد ١٠ :١١ و مزمور٥ :٨٥ مزمور ١٠٢:١٠ و رؤ ١٤:١٠)، وحزنه (تكوين ٦:٦ و أشعياء ١٧: ٧ و ملاخي ٣:٦)، ويتراجع عن رأيه بل وينـدم (تكوين ٢٢:١١، ٢٦:٣ و مزمور ١٠٥:٩).

هذه بعض فقرات وضعناها أمام القارئ لكي نقدم صورة تاريخية كنسية لإنسان وصُف بأنه تلميذ الرسول بولس، وطبعاً هذه كلها تعبيرات جيدة لأنها تقرِّب الله من الإنسان لكن المأساة أن تصبح هذه الرموز عقائد ويصبح المعنى الحرفي الذي يحاول أن يقدمه الأنبا بيشوي دفاعاً عن الأنبا شنودة الثالث هو دليلاً علي عدم فهم الأرثوذكسية.

# الباب الثاني

## حقيقة الخلاف اللاهوتي
## حول أسرار الكنيسة وعددها

# الفصل الأول

# بعض ملامح "السر"
# في كتابات الأب متى المسكين

عندما شرح الآباء العظام الأسرار، جاء شرح الأسرار في: تعليم الموعوظين – شرح الأسفار المقدسة كجزء هام في الليتورجية مثل عظات القديس يوحنا ذهبي الفم التي يشرح فيها رسائل القديس بولس، ومن قبله ما تبقى من عظات العلامة أوريجينوس على كل أسفار الكتاب المقدس.

ويعرف القارئ أن القديس كيرلس السكندري شرح أغلب فصول إنجيل لوقا في عظات متتالية. ولذلك السبب عينه نجد إشارات كثيرة تفوق الحصر في شرح الأسفار للآباء لأسرار الكنيسة أو في تعليم الموعوظين، الذي اكتفى فيه الآباء بشرح أسرار الانضمام إلى المسيح في الكنيسة وهي: المعمودية – المسحة – الإفخارستيا. هذا يؤكد لنا أن الآباء لم يقدموا لنا سلسلة كاملة لها بداية ونهاية وإنما اكتفوا بما يمارس وما هو معروف، ولذلك لم يدون لنا الآباء كل شيء عن الأسرار، ولم يبحث الآباء موضوع "عدد الأسرار" واكتفوا أحياناً بإشارات عابرة عن الزيجة أو مسحة المرضى.

وقد سار الآب متى المسكين على نفس الدرب، وشرح الأسرار الكنسية وهو يشرح الأسفار الإلهية أو عندما يقدم تاريخ حياة الكنيسة، كما ذكرنا في مقدمة الكتاب. هذا يجعلنا نقدم بعض ملامح السر، وهو هنا في معناه الشامل والمطلق، وكما ورد في الأسفار المقدسة، وحسب التسليم الكنسي. والتمييز بين سرّ وسرّ، أي سرّ من أسرار اللاهوت وسرّ كنسي هو تمييز غير معروف عند الآباء، ويعود إلى العصر

الوسيط الأوربي ـــ وهو ما سوف نقدم له دراسة تاريخية شاملة في الكتاب الثـــاني في رد علي كتاب "بدع حديثة". ومن هنا بالذات يصبح اختلاق الشجار حـــول عـــدد الأسرار هو شجار مصطنع من أجل بث الكراهية والشك، لأننا إذا وضعنا الثـــالوث كينبوع لكل أسرار الكنيسة، وهو حقاً ودون أي جدل هو سر الأسرار، أصبح مـــن الضروري علينا أن نعيد التفكير؛ لا في عدد الأسرار حسب روح العصر الوسيط،، بل في الأسرار كنعمة إلهية تنبع من الآب بالابن في الروح القدس. ولعل القارئ الذي نال نعمة حضور طقس تكريس، أو إن شئنا الدقة حسب الأصل القبطي تقديس مبـــاني الكنيسة قد لمح أسباب وضع ٧ قدور مملؤة بالماء ومعها يوضع الريحان والصـــلق، لأن القدور السبعة هي إشارة وعلامة على عطايا الروح القدس، لأن الطلبة تقول عن مباني الكنيسة "بيت الروح القدس" (طقس تقديس الكنيسة والمذبح نسخة البابـــا كيرلـــس الخامس ص ٣٢١ طبعة لندن ١٩٠٢)، وحسب الصلوات الكنسية. والهيكل بالذات هو مكان حلول الثالوث، معمل الواهب (راجع كلمة معمل في التســـبحة الســـنوية، ثاؤطوكية الأربعاء ).

والصلق (حسب شرح العالم القبطي زكريا ابن سباع في كتـــاب اللؤلـــؤة النفيسة) كان هو النبات الموجود قرب القبر الذي دُفن فيه الرب يسوع عندما ظهـــر لمريم المجدلية، أما الريحان وباقي الأزهار فهي إشارة إلى الفردوس، لأن الكنيسة هـــي فردوس الله[1]. ولعل قراءة الأناجيل الثلاثة التي تُعلن "تجلي الرب يسوع" على جبـــل طابور، تؤكد لنا إصرار الأب متى المسكين في كل مؤلفاته على أهمية استيعاب الإيمان والحياة كاستعلان للرب يسوع بقوة وسكنى الروح القـــدس لأن هـــذا هـــو معـــني "التجلي"، لأنه مع القدور السبعة المملوءة بالماء، توضع ٧ سروج مضيئة لأن الـــرب

---

**(1) لاحظ في الطلبة أن البخور هو رائحة اللاهوت أو رائحة المسيح الذكية رائحة عدم الموت رائحة القيامة، وحرص الطقس على تشبيه والدة الإله بالمجمرة الذهبية ووضع البخور أثناء القداس عند "تجسد وتأنس.." كل هذا يؤكد لنا أننا في مكان استعلان أسرار الله. تقول الطلبة "خدمة روحانية برائحة بخور لاهوتك" (راجع صلاة تقديس الكنيسة ص ٨، وص ٣٩٤).**

يسوع يتجلى بقوة الروح القدس، الذي يوصف بنفس كلمات القديس كيرلس السكندري بأنه "خديم الابن" (ص ٤٤٣) لأنه يخدم مع الابن كمساوي له.

هكذا نرى في رقم ٧ عطايا الروح القدس التي لا تحسب رقمياً أو حسابياً، لأن رقم ٣ الخاص بالله أي بالثالوث ليس رقماً حسابياً بل هو علاقة تخصيص في الجوهر الإلهي الواحد الذي هو الثالوث الواحد. وإذا جاز لنا أن نستخدم الأرقام في الحياة اليومية حسب قدرتها ومعناها الحسابي، فهذا الاستخدام لا يجوز في اللاهوت، ولا في طقوس الكنيسة، لأن رقم ٧ لا يحصر عطايا الروح القدس بل يؤكد رمزياً كمال هذه العطايا حسب الثقافة القديمة التي كانت تعتبر الأرقام رموزاً للكمال لأن رقم ٧ أي الكمال وهو خاص بالخليقة الجديدة وقد أنعكس هذا علي الطلبة في القداس "سبع طغمات كنيسة الله" أي كمال جسد المسيح الكنيسة لان رقم ٣ خاص بالثالوث ورقم ٤ خاص بجهات المسكونة الأربعة، فأصبح الكمال هو امتلاء الخليقة الجديدة من اللاهوت حسب عبارة القداس الإلهي "وعند صعودك إلى السموات إذ ملأت الكل بلاهوتك ....".

ولعل دراسة مطولة عن الفصول التي تقرأ في تقديس الهيكل والمذبح والمعمودية تؤكد ذلك، حيث تحشد الصلوات كل فصول العهدين القديم والجديد التي تؤكد ظهور الله و "استعلانه" للآباء البطاركة والأنبياء، ثم تجسده وموته المحيي وقيامته، وفي الصلوات إلحاح شديد على نعمة الروح القدس الاقنوم البارقليط، واستدعاء الروح القدس هو نفسه استدعاء الروح القدس الذي نراه في قداس مار مرقس (الكيرلسي) مع إضافات هامة جداً تؤكد تدفق ينابيع الحياة الجديدة في الكنيسة، التي توصف بكل أمانة أرثوذكسية بأنها "نعمة الله" (المرجع السابق ص ٤١٤).

هذه الخلفية ضرورية جداً لفهم الأصول الليتورجية والكتابية بالذات، التي جعلت شرح النصوص الخاصة بالكنيسة في العهد الجديد تجعل سر الأسرار المعلن في يسوع المسيح ربنا بالروح القدس هو الينبوع الأول والحقيقي لكل أسرار الكنيسة.

## بعض ملامح السر في بعض مؤلفات الأب متى المسكين

يقول الأب متى المسكين وهو يشرح كلمات (أفسس ١: ٩) "معنى السر هنا وفي كل الإنجيل لا يفيد شيئاً سرياً غير معروف، ولكن أمراً خفياً صار مستعلناً[١] فسر المسيح كان مكنوناً أو مكتوماً منذ الدهر، ولكن الآن أعلن للبشر. وسر الصليب كان أمراً غريباً وغير معروف ولا مفهوم، ولكن الآن صار معروفاً ومعلناً.. وسر الخلاص هكذا كان أمراً غير معروف والآن صار معروفاً وممارساً.. وقد يكون للسر المستعلن الآن بقية استعلان ننتظرها بفارغ الصبر مثل سر القيامة وأيضاً سر الفداء والخلاص. وعلى العموم فأسرار المسيح كلها قد أعلنت، وهي كلها تعبر عن مشيئة الله بل ومسرته، السر المكتوم منذ الدهور (١كور ٢: ٢٧). معرفة سر الله الآب والمسيح (كولوسي ٢: ٢) (شرح رسالة أفسس ص ١١٠).

هذه هي روح الآباء بل وكلماتهم، لأن السر يعلن ولا يحسب عدديا، يمارس ولا ينفصل عن غيره، بل هو كل لا يتجزأ وحتى الأسرار الثلاثة، سر المعمودية، الميرون، الإفخارستيا توصف بأنها سر واحد هو سر الانضمام إلى الكنيسة جسد المسيح، وهو ذاته الانضمام إلى المسيح نفسه الذي يوصف بكلمة واحدة "ختم الروح القدس أو مسحة الروح القدس" (راجع شرح رسالة أفسس ص ١٢٢). (القديس أثناسيوس إلى سرابيون ١: ٢٣ – ضد الأريوسيين ١: ٣٧ .. القديس باسيليوس ضد أنوميوس ٥: عامود ٧٢٥.. القديس أمبروسيوس الروح القدس الكتاب الأول: ٩٤) ولذلك توصف الأسرار بكلمة واحدة "طقس" وليس طقوس، "طقس الانضمام"

---

(١) الأب متى المسكين " القديس أثناسيوس الرسولي" صفحات ٥٨٢ وما بعدها.

(راجع القديس أثناسيوس إلى سرابيون الرسالة الأولى: ٢٩ – راجع الترجمة الإنجليزية)[١].

وعرض القديس أثناسيوس هام جداً لأنه ينفي الادعاء بأن الروح القدس "مخلوقاً" مثل سائر المخلوقات حسب تعليم الهراطقة:

> **"إذا فصلتم وعزلتم الروح من اللاهوت فأنتم قد فقدتم "الذي في الكل" وإذا كان هذا اعتقادكم صار طقس الانضمام Initiation الذي تمارسونه ليس ثابتاً في اللاهوت.** (الرسالة الأولى إلى سرابيون: ٩).

ويؤكد الأب متى المسكين أن الرب يسوع بنا كنيسته على أساس أنها خلقة جديدة بالروح القدس بالولادة من فوق من الروح القدس والماء، وأنها تعيش وتعمل في العالم بقوة الروح القدس (القديس أثناسيوس ص ٥٨٢) ولذلك الانضمام إلى الرب في جسده والاتحاد به بسبب عمل الروح القدس فينا، هو العمل السري الواحد والمتعدد الذي يبدأ بغفران الخطايا – التبني – التجديد – الحياة الأبدية – القيامة من الأموات، حسب التعليم الرسولي الذي لخصه الأب متى المسكين (القديس أثناسيوس الرسولي ص ٥٩١ ــ ٥٩٤ وسائر المجلدات التي يشرح فيها نصوص العهد الجديد الخاصة بالروح القدس وهو ما يفوق الحصر والتي يجب أن يعود إليها القارئ).

وطقس الانضمام شرح بكفاية وأصالة تامة مع استعمال أدق الكلمات التي يمكن أن تجود بها أي لغة بشرية (راجع صفحات ٦٢٢ – ٦٢٧).

## السر الواحد المتعدد لنعمة وافرة غنية:

لكي نستوعب بشكل جيد، وبأسلوب أرثوذكسي ما كتبه الأب متى المسكين في المسيح والكنيسة، والوحدة والاتحاد الروحي الذي يعلو على كل الكلمات والمفردات البشرية، لأنه اتحاد فريد خاص سماوي لا مثيل له في التاريخ والثقافة

---

**1. C. R. B. Shaplana, The letters of St. Athanasius – 1951, p 137 (١)**

والآداب والعلاقات البيولوجية التي نفهمها بشكل مباشر، لأنها حسية وجسدانية واضحة، نحتاج إلى أن نعود إلى كتابات القديس أوغسطينوس عن الكنيسة لسبب تاريخي واحد وهو هجوم الدوناتيين على وحدة الكنيسة، وهو الهجوم الذي أبرز موضوع الكنيسة بشكل رئيسي واضح عند المدافع الأكبر عن وحدة الكنيسة وهو القديس أوغسطينوس. وكما أبرزت الأريوسية في هجومها على الثالوث، إلوهية الرب يسوع ووحدة جوهر الثالوث، كذلك أبرزت الدوناتية وحدة الكنيسة جسد المسيح الواحد. الكنيسة هي الموضوع الحاضر الغائب[١]، نعيد هنا ما سبق وقِيل وهو أن الإصرار علي وحدة الكنيسة بالرب يسوع هو المدخل الحقيقي لفهم الأسرار والحياة في المسيح بالنسبة للفرد والجماعة.

## أسرار الله التي صنعها في المسيح يسوع لأجلنا[٢]

هذه الأسرار هي إعلانات، حسب كلمات أبينا الروحي، وقد وصفهاحسب ترتيب كلمات الرسول بولس: الاختيار – التبني – الفداء – مغفرة الخطايا – إعلان مشيئة الله – الميراث السماوي لليهود والأمم – نوال روح الحكمة والإعلان (شرح رسالة أفسس للأب متى المسكين ص ١٤٦).

وقد وضعت هنا في سطور قليلة، وعلى القارئ أن يراجعها بنفسه، هذا اختصار فيه خلل غير مقصود بسبب ضيق المجال، وعلى القارئ أن يقرأ الشرح المتتابع. ولكن نقطة واحدة تهمنا: هل نحن أمام سبعة أسرار لعمل المسيح؟، الجواب حسب قواعد الحساب نعم، وهل نحن أمام سر واحد؟ والجواب حسب التعليم الرسولي نعم؛ لأن القوى العظمى والهائلة التي استخدمها الله هي قوة القيامة وهي بالتحديد حسب عبارة الرسول بولس "من نحونا" (راجع ص ١٤٨)؛ لأننا متنا معه

---

(١) الأصول الآبائية الأرثوذكسية لكتابات الأب متي المسكين – الكتاب الثاني ص ٥ وبعده.

(٢) العنوان أُخذ من شرح رسالة أفسس للأب متى المسكين ص ١٤٦.

وقمنا معه وبالتالي خضعنا لعظمة القدرة الإلهية الفائقة، وجزنا مع المسيح في عمل شدة قوة الله. وقيامتنا محفوظة بعظمة قدرته (ص ١٤٨ – ١٤٩).

هذه "ينابيع كثيرة انفتحت علينا من قبل الله بسبب قيامة المسيح المملوءة أسراراً" (ص ١٥١)، وعاد الأب متى المسكين لكي يصحح أكبر خطأ في كتب التفسير لكلمات الرسول في أفسس ١: ٢٢ وإياه جعل رأساً فوق كل شيء من أجل الكنيسة (ص ١٥٥) فقد صار المسيح رأس الخليقة الجديدة التي ولدت منه هو (ص ١٥٦) لأن العلاقة الجوهرية التي تربطه بالكنيسة هي علاقة رأسه بجسده الخاص به، وحسب كلمات الأب متى المسكين، جسده الذي يربطه به رباطاً كيانياً حياً أبدياً، لأن الجسد لا يمكن فصله عن كيان ذات المسيح وهو تعبير يؤكد مدى الالتحام الجوهري الذي صنعه المسيح مع الكنيسة. هنا يكون المسيح في الحقيقة قد استعلن لنا سر الكنيسة قائماً في سر تجسده. فالتجسد بداية والكنيسة نهاية (هذه الفقرة نقلت من صفحات ١٥٦ و ١٥٧) بسبب أهمية هذا التعليم وضعنا مختارات من عظات القديس أوغسطينوس على سفر المزامير لكي يدرك القارئ أننا هنا أمام مفترق الطرق.

**الطريق الأول**: هو الطريق الرسولي الذي يظهر جلياً واضح المعالم في التعليم الرسولي وفي شرح الأب متى المسكين، حيث نرى تجسد الرب يسوع المسيح الذي أعد جسده لكي يجمع فيه الكل ويصبح الكل معه وفيه واحداً فتسري قوة وحياة المسيح فينا.

**الطريق الثاني**: وهو تحول دعوة الإنجيل إلى تعليم أخلاقي لتهذيب السلوك وتقديم معرفة عامة عن التوبة والقداسة.. الخ دون الإشارة إلى "السرّ" إلى الكيان الحي الذي منه تنبع الحياة الجديدة.

وبعد أن تقرأ شرح رسالة أفسس للأب متى المسكين وعبارات القديس أوغسطينوس عليك أن تختار أي طريق تسلك؛ لأن السلوك يجب أن ينبع من الإيمان،

وهو أمر يخص القارئ. وسوف يرى القارئ في الفقرة التالية لماذا اخترنا القديس أوغسطينوس بالذات.

**أولاً**: قاعدة الشرح كما رأينا هي المسيح الابن المتجسد، الذي سبقت أرادته وجود الكون والإنسان، والذي مع الآب والروح القدس رتب خلاص الإنسان. ومن هنا يصبح موت المسيح الإرادي والحر هو العطاء النابع من القدرة الإلهية الفائقة التي تسود على الحياة وتبدأ من حيث سقطت الحياة لكي ترد الحياة إلى حياة أبدية.

**ثانياً**: لم يفصل الأب متى المسكين بين المسيح والقيامة والخلاص، فهو يدرك أن هذا الفصل تعسف حقيقي عقلاني، ولذلك كرر عدة مرات في كل المجلدات أن المسيح ليس ما نتصوره ونعرفه بالعقل، وللأب متى المسكين عبارة هامة نعرفها جميعاً يقول فيها "الله عرفوه بالعقل، مبدأ خطير وهدّام لأن الله لا يدرك بالعقل". ولذلك كان الإعلان في النبوات ثم في التجسد. من هنا جاء استبعاد ثنائية المسيح والخلاص، العطاء والعطية والعاطي.

**ثالثاً**: إذا كان "فعل الموت والقيامة حاضران" بسبب طبيعة التجسد نفسه وسلطان المتجسد، وبسبب علاقة الابن بالآب، فإن السؤال عن طبيعة جسد الرب يسوع في العُلّية يصبح بلا معنى، لأن المسيح قابل الموت وهزمه في الآخرين لاسيما لعازر وهو يقابله ويهزمه في كيانه، حقيقي أنه ليس "مديناً" للموت – كما يقول هيو الفكتوريني[1] – ولكن الأعظم ليس هو الشرح القانوني عن إيفاء الدَين، بل الأعظم هو أن يخلصنا المسيح، كما يقول الأب متى المسكين، وصية الآب الذي أعطى للابن سلطان الحياة والقيامة، لكي ينقل هذا إلى الآخرين وإلى المؤمنين. هذا يجعل كل أبحاث لاهوت العصر الوسيط بلا جدوى، لأن السؤال عن تأسيس الأسرار وكيف أسست

---

**(١) من آباء الكنيسة الغربية (١٠٩٦ – ١١٤١ ) تتلمذ في دير القديس فيكتور في باريس، أعتبر أن الوجود المادي هو رمز للوجود السماوي الروحي، والإيمان يعلو علي العقل Suprarationem.**

يصبح بلا أهمية. لأن المؤسس نفسه هو الذي يحتوي الأسرار كلها وهو مصدرها وهو واهبها وهو ناقلها.

هكذا عبر بنا الأب متى المسكين حواجز لاهوت العصر الوسيط في لمسة وفاء ورؤية آبائية أرثوذكسية ثابتة ومؤسسة على كلمة الله في العهد الجديد. ونضيف في رقة مستيكية دون الدخول في جدل عقيم لا يفيد.

## تحول ناسوت الرب عند القديس كيرلس الكبير:

قدم الأب متى المسكين في مجلد الإفخارستيا ص ٥١٥ وبعدها أهم ما سجله القديس كيرلس السكندري عن سر الإفخارستيا. والعبارات كلها تكشف عن قوة عمل السر في النفس والجسد وانتقال طبيعة المسيح إلينا. ولأننا نعود إلى الأصول الأرثوذكسية كان من الضروري أن نضع أمام القارئ الخلفية اللاهوتية التي تؤكد أن تحول ناسوت الرب يسوع يوصف بكلمة يونانية هامة هي نفس الكلمة التي تستخدم للإفخارستيا ومياه المعمودية، لأن المسيح واحد وأسراره واحدة تحسب روحياً ولا تحسب بالأرقام. لكن لأن المسيح هو مصدر كل الأسرار فإن تحول ناسوت الرب يسوع المسيح هو القوة التي تحول الخبز والخمر ومياه المعمودية[1]. فهو بالروح القدس يعطي لنا هذا التحول حسب عبارات أبينا القديس كيرلس:

> **«المسيح هو البكر من الأموات، صار لنا طريق القيامة وهو الذي يحولنا إلى الحياة الجديدة καινότητα μεταστιχειών طارداً الفساد الذي فينا ».**
>
> (العبادة بالروح والحق فصل ١٧).

---

(١) راجع صلاة تسريح مياه المعمودية في طقسنا القبطي.

**«يحوِّل المخلص بواسطة تعليمه الإنجيلي والإلهي، المعطي الحياة، الذي يستقر في عقولنا وقلوبنا، فيحول نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا إلى خواصه الذاتية:**
**ψυχήν τε και σώμα και πνεύμα πρός ίδίαν ώσπερ ποιότητα μεταστοιχειοι".**

(المرجع السابق عامود ٦١٤).

**«بحريته واختياره جاء الابن الوحيد والكلمة وتأنس وسكن فينا حتى أنه بعدما ظهر في شكل الحياة المستعبدة للموت، يحولها إلى الحياة».**
(Glaph in cren. 11)

**«لقد أخذ طبيعتنا لا لكي يصبح خاطئاً مثلنا بل لكي يحولنا إلى ما هو صالح بالروح القدس إلى ما هو أفضل».**
(In Isiah 155: 760)

**«خلق الكلمة روح كل إنسان وفي التجديد لا يعيد خلق كل روح من العدم، بل يخلقها فيه محولاً μεταμορφούμενον إياها من الضعف إلى القوة ومن الخوف إلى الثبات محولاً إياها روحياً من الفساد إلى الصلاح».**
(In Zeck 12: 773)
**«رغم أنني تجسدت، لأن هذا هو معنى أنني أُرسلت، إلاَّ أنني حي بالآب الحي حافظاً في كياني كل خواص الآب، حتى أن من يشترك في جسدي يقبلني وينال الحياة التي تحوِّله μεταστοιχειούμενος بالتمام إلىّ، لأن لي القدرة على أن أعطي الحياة لأنني مُحيي، ومصدر Root حياتي هو الآب».**

(شرح إنجيل يوحنا ٤: ٣ ص ٣٦٦).

**"لم يكن المسيح قد مجد بعد. لم يكن ربنا يسوع المسيح قد حول بعد μεταστοιχειώσας هيكله (جسده) إلى المجد الذي يليق به».**

(شرح إنجيل يوحنا ١٢: ١٠٩٢).

**«لأن الكلمة من الله هو بالطبيعة الحياة، فجعل الذي هو قابل للفساد – أي جسده – عديم الفساد؛ لأنه أباد قوة الموت فيه (جسده) وحوله إلى عدم فساد.**

**"μεταστοιχειχώση προς άφθαρσίαν"**

(عظة عيد القيامة – عظة ١٧: ٢٣٣).

وعن جسد الرب يقول:

**«لقد تحول μετεστοιχειούτο إلى قوة إلهية نقية لأن الخطية ماتت فيه».**

(عظة ١٩: ٢٥٢).

**«قام في اليوم الثالث لأنه الإله، وأحيا هيكله وصار باكورة الراقدين، لكي يجعل طبيعة الإنسان أسمى (أقوى) من الموت والفساد محوِّلاً إياه إلى عدم الموت εἰς μακραίωνα μεταστοιχειώςη ξωήν».**

(عظة عيد القيامة ٢٣: ٢٨١).

## تحول مياه المعمودية:

**«بالروح تتقدس روح الإنسان والجسد يتقدس بالمياه المقدسة، لأن المياه التي توضع في قدر وتتلامس مع ألسنة النار تأخذ قوة**

**النار، هكذا بقوة (فاعلية) الروح القدس تتحول المياه المادية μεταστοιχειούται إلى قوة إلهية فائقة وتقدس عند الاستعمال كل الذين يتزلون فيها».**

(شرح إنجيل يوحنا ٣: ٥ – ١٤٧).

## الفصل الثاني

# الإثنين اللذين صارا واحداً:
# المسيح والكنيسة

أبرز القديس أوغسطينوس، مثل الأب متى المسكين، وحدة الجسد بالرأس كوحدة حياة، وليست وحدة بيولوجية، وحدة معلنة بالروح القدس وتمارس في الأسرار. ولذلك يقول عن الكنيسة:

**«قبل الانقسام لم نكن نشرح وحدة المسيح بالتفصيل كما نفعل الآن».**
(De Praedest. Sanctorum PL 44: 982 – 3).

**«تعالوا أيها الأخوة لكي تنغرسوا في الكرمة. نحن نحزن عندما نراكم وقد قطعتم أنفسكم وطرحتم ذواتكم بعيداً عن ميراثكم الذي لكم»**

(العظة العاشرة PL 73: 1159).

**«ما هي الكنيسة؟ هي جسد المسيح. وإذا اتحدت بالرأس تصبح إنساناً واحداً؛ لأن الرأس والجسد هما إنسان واحد. من هو الرأس؟ هو الذي وِلِدَ من العذراء مريم. وما هو جسده؟ هي العروس، أي الكنيسة. فقد أراد الآب أن يصبح الاثنين واحداً، فأصبح الله الابن يسوع المسيح والكنيسة إنساناً واحداً».**

(عظة ٤٥ 6 – PL 38: 265).

**«كل البشر هم إنسان واحد في المسيح، ووحدة المسيحيين هي كيان الإنسان الواحد».**

(عظة على مزمور ٣٩ – PL 36: 219).

**«هذا الإنسان هو كل البشر، وكل البشر هم هذا الإنسان، لأن كل البشر واحد لأن المسيح واحد».**

(عظة على مزمور ١٢٧ – PL 37: 1686).

**«يا جسد المسيح أنت الكنيسة المقدسة..**
**يا شعب الله يا جسد المسيح، المسافر النبيل،**
**أنت لست من الأرض، وإنما من السماء»**

(عظة على مزمور ١٣٦ – PL 37: 1768).

**«ربنا يسوع المسيح إنسان كامل له الملء هو الرأس والجسد، وجسده هي الكنيسة، ليس فقط هنا في هذا المكان بل الكنيسة هنا وفي كل مكان والتي يمتد وجودها في كل الأرض، ليس فقط الكنيسة التي تحيا هنا الآن أي اليوم، بل كل جنس القديسين من هابيل وكل الذين سوف يولدون ويؤمنون بالمسيح حتى نهاية العالم، لأن الكل في مدينة واحدة هذه المدينة هي جسد المسيح. هذا هو المسيح كله Whole أي المسيح المتحد بالكنيسة».**

(عظة ٢ على مزمور ٩٠ – PL 37: 1376).

**«لكي نفهم الأسفار، تحتم علينا الضرورة القصوى أن نعرف المسيح كله، أي الرأس والأعضاء. أحياناً يتكلم المسيح باسمه هو كرأس. وأحياناً باسم جسده أي الكنيسة المقدسة التي انتشرت**

**في العالم كله. نحن أعضاء جسده ونحن نسمع أنفسنا نتكلم به (الرأس) لأن الرسول يقول لنا: "أنتم أعضاء جسده» (افسس ٥: ٣٠).**

(عظة على مزمور ٣٧ مجلد ٣٩: ٣٩٩).

**«لقد قال المسيح نفسه: "لا يكون بعد اثنين بل جسد واحداً" (متى ١٩: ٦) هل هذا غريب؟ إذا كانا جسد واحد، صار لهم لسان واحد ينطق نفس الكلمات لأنهما جسد واحد، الرأس والجسد، لذلك لنسمعهما معاً كواحد، ولكن لنسمع الرأس يتكلم كرأس، والجسد يتكلم كجسد. نحن لا نفصل الكيانين ولكن لكل منهما كرامة خاصة وعمل خاص لأن الرأس يُخلِّص والجسد يَخلُص. الرأس يُطهر من الخطية، والجسد يعترف بالخطية، ولكن الصوت واحد حتى أننا لا نعرف هل هو صوت الرأس أم صوت الجسد. نحن نميِّز عندما نسمع، ولكنه يتكلم كواحد. ولكن عندما تسمع الجسد يتكلم لا تفصل الجسد عن رأسه. وعندما تسمع صوت الرأس لا تحذف الجسد لأنهما ليس بعد اثنين، بل جسداً واحداً».**

(المرجع السابق مجلد ٣٦: ٤٠٠).

**«ماذا فعلت الكنيسة وما هو الجرم الذي اقترفته ضدك حتى أنك تريد أن تقطع رأسها؟ أنت تريد أن تفصل الرأس عن الجسد لكي تؤمن بالرأس وحده ولذلك تحتقر الجسد. حقاً باطلة هي خدمتك وباطلة هي عبادتك للرأس، لأنك عندما تقطع الجسد فأنت تجرح الاثنين الجسد والرأس».**

(عظة ١٣٨ مجلد ٣٧: ١٧٩٧).

**«هو واحد ونحن كثرة. هو واحد ونحن واحد فيه».**

(عظة على مزمور ٨٨ مجلد ٣٧: ١٠٨٤).

**«نحن واحد لأن المسيح واحد ونحن أعضاء جسده».**

(عظة على مزمور ٨٨ مجلد ٣٧: ١١٢٤).

**«لا تقل أنه واحد ونحن كثرة وتقف عند هذه الكلمات بل قل نحن الكثيرين واحداً فيه».**

(عظة على مزمور ١٢٧ مجلد ٣٧: ١٦٧٩).

**«إنها الوحدة حتى التي توحدنا بهذا الواحد، ولا يرتفع الذين يرفضون أن يكونوا واحداً معه».**

(عظة على مزمور ١٢٢ مجلد ٣٧: ١٦٣٠).

**«إذا أدركنا علاقتنا بالرب وفهمناها جيد وآمنا بأننا جسده، سوف نرى أنه هو كياننا نفسه. وإذا لم نقبل هذا وظننا أننا لسنا هو، فإن هذه الكلمات تصبح باطلة: "الحق أقول لكم ما فعلتموه بأحد الأصاغر من إخوتي فقد فعلتموه معي" (متى ٢٥: ٤٠ حسب النص اللاتيني) وإذا لم نكن نحن هو، فإن الكلمات التالية أيضاً تصبح غير حقيقية: "شاول شاول لماذا تضهدني؟" (أعمال ٩: ٤) لذلك نحن هو؛ لأننا أعضاء جسده، ولأننا جسده وهو رأسنا، لأن المسيح كله هو رأس وجسد».**

(رسالة إلى بارثوس Parthos مجلد ٣٥: ٢٠٥٥).

هل هذه جريمة الأب متى المسكين؟ لقد أراد أن يعبر بالفكر وبالتعليم المعاصر إلى مجد المسيح وقوة أسراره. والعبرة ليست في عدد الأسرار[١] بل في استعلان الـــرب يسوع المسيح نفسه المعلن في الأسرار.

(١) **سوف نناقش عدد الأسرار في الكتاب الثاني.**

الفصل الثالث

# الأب متى المسكين،
# وثنائيات العصر الوسيط الأوربي

لعل أكبر ثنائيات Dualisms العصر الوسيط، هو المسيح كواحد والكنيسة كآخر، أي اثنين كل منهما منفصل عن الآخر، رغم وضوح التعبير الرسولي "جسد المسيح" و "جسد واحد". ولعل حل مشكلة ثنائية المسيح والكنيسة هو العودة إلى "سر المسيح" المعلن في القداسات والذي نأخذه في الإفخارستيا؛ لأننا نأتي من زماننا، أي حياتنا اليومية، ومن مشاغلنا التي تجعلنا نغترب عن أنفسنا وبالتالي عن (سر المسيح) "المسيح فيكم هو رجاء المجد" (كو١: ٢٧).

يعيدنا القداس إلى ما نحن عليه، هو الذي يؤكد لنا أن الاثنين: المسيح والكنيسة ليسا بعد اثنين بل واحد ( متى ١٩: ٦). وهذا ما جمعه الله الآب في ابنه يسوع المسيح، ولذلك كان من الضروري أن نقدم أحد النصوص المشهورة للقديس أوغسطينوس لكي ندرك أن كل قداس يعيدنا إلى السر، وأن الوحدة الروحية تجعل كل ما يحدث ويقال ويقام في القداس الإلهي هو إعلان عن العلاقة الكيانية، التي أخذناها من أسرار الانضمام للرب يسوع أي إلى جسده أي إلى الكنيسة.

## جسد واحد على المائدة وهو سر شركتنا حسب كلمات أوغسطينوس:

"إذا شئتم أن تفهموا جسد المسيح، اسمعوا ما يقوله الرسول للمؤمنين: "الآن أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفراداً..." (١كور ١٢: ٢٧). فإذا كنتم أنتم جسد المسيح وأعضائه، فإن سركم الإلهي **Your Divine Mystery** قد وُضع على مائدة الرب، أنتم تقبلون سركم **your mystery** لأنكم أنتم هذا السر، ولذلك تقولون: آمين. وبهذا الجواب تعطون قبولكم (موافقتكم)، وعندما تسمعون: جسد المسيح، لتكن إجابتكم حقيقة عندما تقولون: آمين.

لماذا الخبز؟ يجب أن نعيد في كل مرة ما يقوله الرسول عندما يتكلم عن هذا السر: "لأننا نحن الكثيرون خبز واحد، جسد واحد" (١كور ١٠: ١٧). افهموا وابتهجوا، الوحدة، الحق، التقوى، المحبة، خبز واحد، ما هو هذا الخبز الواحد؟ نحن الكثيرين، جسد واحد. تذكروا أن الخبز لم يصنع من حبة قمح واحدة، بل من كثرة، وعندما طردت منكم الشياطين (في المعمودية) كان هذا بمثابة طحن في المطحنة، وعندما اعتمدتم صرتم كمن مزج بالماء، وعندما قبلتم نار الروح القدس، فقد وُضِعتُم في النار لكي تنضجوا. كونوا ما تعاينون واقبلوا ما هو أنتم عليه (أو ما أنتم).

**Be what you see and receive what you are.**

لقد قال الرسول هذا عن الخبز. فكيف نفهم الكأس الذي لم يتكلم عنه الرسول. ولكن لكي يصبح الخبز خبزاً، كان من الضروري أن تطحن الحنطة وتعجن وتُصبح عجينة واحدة، هكذا نحن المؤمنين الذين قال عنا الكتاب المقدس: "وكان

**للمؤمنين نفس واحدة وقلب واحد" (أع ٤: ٣٢). هكذا يجب أن نفهم الخمر. أيها الإخوة تذكروا كيف نصنع الخمر. العناقيد الكثيرة التي تتدلى من الكرمة تصبح عصيراً واحداً. هكذا أراد المسيح الرب أن نحيا. لقد شاء أن نكون ملكاً له وأن نتقدس بسر سلامنا ووحدتنا على مائدته[١]".**

(عظة ٢٧٢).

نحن نقبل ما هو لنا، ما هو فينا؛ لأن القبول هنا هو التحول الكبير والجذري الذي جاء به المسيح ربنا عندما حوّل الجسد الإنساني في كيانه. نحن نُولد لكي ننمـــو وكل أعضاء الجسد موجودة، ولكنها تنمو من الجنين إلى الإنسان الكامل البالغ.

## طبيعة جسد المسيح الذي قُدم في العشاء السري:

في زمن هيو الفكتوريني كان السؤال الذي شغل فكر لاهوتي العصر الوسيط: هل قدم الابن جسده القابل الموت في العلية أم جسده عديم الموت؟ وكيف فعل ذلك قبل القيامة؟ أو إن شئنا الدقة كيف قدم الرب جسده قبل القيامة والجواب حسب هيو الفكتوريني هو:

«أعتقد أنه يكفي لمن له إيمان بسيط أن نقول إنه أعطى ما أراد أن يعطيه، وأنه هو وحده يعرف طبيعة ما أعطى. لقد أعطى ما أراد لأنه قادر على كل شيء، ولذلك كان قادراً على كل ما يريد أن يعطيه[٢]».

ولكنه لا يقف عند هذه الإجابة "التَقَوية" لأنه بعد ذلك يقول:

---

(١) راجع نفس الشرح في أقدم صلوات للإفخارستيا "في الديداخى" وراجع ذلك أيضاً في شرح الأب متى المسكين – الإفخارستيا – عشاء الرب ص ٣٩٤ وبعده. راجع النص الإنجليزي في كتاب الأب اليسوعي:

**Erich Przywara, An Augustine Synthesis, London 1991, p 235**

ومجموعة عظات القديس أوغسطينوس الترجمة الحديثة مجلد

**The Works of St. Augustine – A Translatin of the 21st Century, translated by E. Hill.**

(2)On the Sacraments of the Christian Faith, op, cit P 304.

«لكن إذا شئنا أن نقدم إجابة دون أن نخدش الحق. لقد أعطى الجسد الذي هو قادر على عدم التألم والعديم الموت، لأن هذا هو ما نأخذه في السر (الإفخارستيا) عند التقديس. أما إذا اعترض أحد على أن عطاء الجسد تم قبل القيامة، لأن ربنا يسوع المسيح قبل القيامة كان قابلاً للموت وله جسد قابل للموت mortal body، فإننا نحن نعترف بذلك دون أدنى شك لأنه كان مثل باقي البشر المائتين، لأننا إذا رفضنا الإيمان بأنه قبل القيامة كان قابلاً للموت نكون قد أنكرنا موته (على الصليب)، لأن الطبيعة الإنسانية في المسيح مائتة حسب الإرادة وليس بالضرورة. لأن الطبيعة التي بسبب فيض النعمة قد اتحدت بكلمة الله، وقد صارت بلا خطية بسبب اتحادها بالأقنوم، فقد صارت حرة من ضرورة الموت وحتميته، لأنها لم يكن لها دين للموت لأنها كانت بلا خطية، لكن (المسيح) احتمل الموت بإرادته الحرة لأنه أراد أن يموت، وإذا لم يكن قد قبل الموت وجازه بإرادته فإنه لم يكن ممكناً أن يموت. هكذا بإرادته قبل الموت لكي يذوق الموت (عب ٢: ٩) وبذلك يدوس الموت. هكذا أيضاً صار مائتاً حسب الإرادة وليس حسب الضرورة، حسب القصد وحسب الزمان نفسه، لأنه قَبِلَ (الصليب) وغَلبَ الموت (بقيامة الأموات).

(المرجع السابق ص ٣٠٥).

ومن هنا نفهم أن لاهوت العصر الوسيط، كما سبق وقلنا وشرحنا من قبل، يضع لكل العقائد الأساس القانوني، وهو هنا أن الموت حتمي لمن هو خاطئ، وهذا حقيقي وصحيح، ولذلك الموت ضرورة لكل خاطئ، وهو أمر لا يمكن لأي خاطئ تجاوزه، ولكن الموت بالنسبة للمسيح ليس ضرورة فرضت عليه، بل تطوع هو لقبولها، ولذلك بإيمان صحيح، ومن مدخل "الدَين" يرى هيو الفكتوريني أن المسيح قَبِلَ الموت بإرادته لأنه حرّ من ضرورة الموت بسبب قداسته، وقبول الموت بالإرادة يعني أن المسيح مات فعلاً على الصليب.

هذا جيد ونافع، ولكنه يفتقر إلى قوة ما جاء في تراثنا الشرقي.

وإذا جازت المقارنة فإن الفضة لا تقارن بالذهب، لأن اللاهوت الشرقي بفضل بصيرة الآباء لم يُعلِق الخلاص على إرادة الرب يسوع وحدها، بل أعلن تحول ناسوت الرب نفسه بسبب الاتحاد وهو الموضوع الأساسي والأصلي الذي تستند عليه ذبيحة سر الشكر. فقد حول الرب جسده القابل للموت بسبب الاتحاد، وجعله جسداً يعطي الحياة حسب إعلان الحياة الذي يُعطَى لنا في الليتورجية الأرثوذكسية، لأن جسد الرب يسوع "لم يرَ فساداً" حتى وهو في القبر مع الموتى، ولذلك نحتفل بسبت لعازر حسب بشارة الإنجيل قبل أسبوع الآلام. هذه الحقيقة التي قدمها الأب متى المسكين في التعليم الذي سلمه منذ ١٩٥٧ وبعدها، وعاد ودونه في شرح إنجيل يوحنا في مواضع كثيرة متفرقة.

يقول الأب متى المسكين:

«بإقامة لعازر من الموت بعد أربعة أيام في القبر، يحضرنا المسيح ويوقفنا أمام القيامة في اليوم الأخير، وعلى الوجه الأصح، يُحضرنا ويوقفنا أمامه باعتبار أنه هو هو القيامة وهو هو الحياة. أنا هو القيامة والحياة (يوحنا ١١: ٢٤، ٢٥). هنا يظهر القصد الرئيسي من آية إقامة لعازر من الموت، فالقيامة والحياة هي في المسيح وعلينا أن نواجههما الآن وليس في اليوم الأخير، ولا حتى في يوم مماتنا» (شرح إنجيل القديس يوحنا المجلد الأول ص ٦٥٥ – ٦٥٦)[1].

«في حضرة رئيس الحياة يختشي الموت» ص ٦٧٢

«أنا هو القيامة ليس تشبيهاً ولا تصويراً ولكنه استعلان حقيقة كائنة فيه وهي من صميم كيانه وطبيعته». ص ٦٧٨

---

**(1) راجع شرح قوة عبارة الرب الآن في يوحنا ٥: ٢٥ – راجع بالذات شرح الأب متى المسكين ص ٦٥٦ ثم ص ٦٥٩ – ٦٦٠ وبعدها.**

«أنا هو القيامة ذاتها.. فإن القديس كيرلس الكبير يدعو المسيح بعبارة تكررت مئات المرات في كتاباته وهى "الذي هو بطبيعته الحياة"». ص ٦٧٨ (راجع أيضاً تعبير "الحياة" الذي يظهر في أغلب فصول تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس).

هكذا يستوعب الأب متى المسكين تراث الإسكندرية كاملاً بلا نقص «أنا هو "القيامة" وأنا هو "الحياة"، لأن المسيح سيبدأ من الموت ليعلن الحياة.. ولكن لابد من الإثنين معاً، لأن القيامة والحياة استعلان واحد هو شخصه». ص ٦٧٩.

ويصل الأب متى المسكين إلى ذات الموضوع الذي فصل بين الأرثوذكسية والأريوسية في زمان القديس أثناسيوس والأرثوذكسية والنسطورية في زمان القديس كيرلس، وهو أن الخلاص ليس شيئاً يعطى، ولا هو موضوع يتأمله الإنسان، بل هو المسيح نفسه، وهو نضال كل الآباء الذي أبرزه لاهوتي الإسكندرية. وفي عبارة موجزة يقول للقارئ:

**«فهو لم يقل أن القيامة عمل يُحضره لنا ...**

**أو يقودنا إليه ..**

**أو يَعدنا به ..**

**ولكنه يقول "أنا هو القيامة".. والقيامة التي يعلنها المسيح إنما كيانه الخاص: أنا هو، لا يعلنها لنعرفها فيه مجرد معرفة، بل أنه يعلنها باعتبارها لنا ومن أجلنا**[1].

هي كائنة أصلاً في صميم لاهوته؛ لأنه هو الحياة ذاتها. والقديس أثناسيوس يدعو المسيح "الذي هو بذاته الحياة" أو "الحياة بذاتها" (تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس ٢١: ٤)؛ لأنه هو الحياة بذاتها التي ليس للموت سلطان عليها.

ولكن لأنه تجسد وأخذ بشرية الفرد الكاملة التي يمكن أن يموت بها صارت القيامة كائنة في ناسوته أيضاً.

---

**(١) قارن هذا بالتعليم عن القيامة العامة في عقيدة الإسلام التي يؤكدها الأنبا شنودة في أعياد القيامة دون أن يؤكد أن القيامة تمت لسبب واحد فقط وهو قيامة المسيح ربنا.**

ولكن قبل أن يموت باشر إقامة لعازر من الموت، لندرك أن القيامة كائنة فيه بل هي كيانه الذي نوى أن يمنحنا إياه، بالاتصال بنا أو بإتحادنا به». (المرجع السابق ص ٦٧٩).

وقبل ذلك يشرح نص (يوحنا ١٠: ١٧ – ١٨) وهو أحد المحاور الأساسية في لاهوت الإسكندرية لكي يضع أمام القارئ حقيقة المسيح يسوع الذي ناضل الآباء من أجلها.

«لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها.. » أي سلطان الموت الإرادي الذي يمكن أن يكون على مستوى البشر – وسلطان آخر ليس في طاقة البشر قط وهو سلطان إقامة الموتى. سلطان عدم الموت. (شرح إنجيل يوحنا الجزء الأول ص ٦٣٢).

ويقف الأب متى المسكين أمام موت المسيح الاختياري وسلطان الحياة وهو خلاصة تسبحة البصخة ومردات الشعب في أسبوع الآلام ليقول للقارئ:

«إذا تعمقنا قليلاً في هذه الطبيعة الفائقة التي يتساوى فيها سلطان حرية الموت مع سلطان حرية القيامة من الموت لأدركنا أن فعل الموت والقيامة حاضران معاً كحدث واحد من تدبير المسيح بلا اهتزاز ولا اختراق. هذا السلطان على الموت والقيامة قبله المسيح من الآب كوصية للتنفيذ في ذاته لتكميل تدبير خطة الآب لخلاص العالم.. هذا السلطان على إعطاء عبور الموت والقيامة – أي الميلاد الجديد السماوي.. إنه نفذ هذا السلطان في نفسه ليعطيه للآخرين، إنما من خلال إخضاعه الموت والقيامة لنفسه أولاً. فسلطان المسيح على إعطاء الحياة الأبدية للإنسان يستمده من طبيعته، وهي وصية الآب ومن فعل ذبيحته». (المرجع السابق الجزء الأول ص ٦٣٢ – ٦٣٣)

## الآب متى المسكين وعبور حواجز العصر الوسيط:

ورث اللاهوت الأوربي في العصر الوسيط عدة ثنائيات Dualisms أهمها:

الزمان – الأبدية

الروح – الجسد

المنظور – غير المنظور

السرّ – العلامة

ولكن تجاوز هذه الثنائيات تحقق في العصر الحديث وحده وبفضل جهود علماء الكتاب المقدس، لاسيما علماء العهد الجديد من كافة الكنائس المسيحية رغم اختلاف الانتماء المذهبي، ولذلك بذات الحس الروحي يقول الأب متى المسكين للقارئ وهو يشرح القيامة والموت:

«هنا يلزمنا أن نصالح بين الزمني، والأبدي في أفعال المسيح من جهة موته وقيامته. فكل ما صار إليه المسيح تحت الزمان والناموس، كان قائماً في العلم والمشيئة والإرادة الإلهية قبل إنشاء العالم ..» (أفسس ١: ٣ – ٤). (المرجع السابق جزء أول ص ٦٣٣).

وكما حدث في زمان الرب نفسه وهو ما سجله الأب متى المسكين:

«وكما هي العادة فبعد كل تعليم يقدمه المسيح، ينقسم السامعون إلى مناقض فاقد الاتزان في النقد، وإلى مدافع خائف متراجع عن إعلان إيمانه. كما أن الانقسام .... يكون بين الجموع (يوحنا ٧: ٤٣ – ٤٤). ولا تزال هذه الخطورة محدقة بالإيمان المسيحي حتى اليوم عندما يترك الرعاة جوهر الإيمان والتمسك بمبادئ الفداء والخلاص. وينشغلون بالأمور الأخرى». (جزء أول ص ٦٣٥).

سوف نحتاج لوقت طويل وجهد أكبر لكي نستوعب المسيح كشخص أودع في كيانه كل شيء لأجلنا، وتجاوز ثنائيات العصر الوسيط، الذي عن حسن نية ومن أجل خلق نظام عقلي واضح ثابت لتعليم عقلي مقبول، يحتاج إلى صدمة أو عثرة الإنجيل وهي صعبة على عقل أي إنسان يريد أن يضع المسيح نفسه خالق كل الأشياء في داخل نظام عقلي خلقه الإنسان نفسه لنفسه، لكي يسود على الرب ويضعه تحت فحص كل أدوات العقل والقدرة على التحليل.

والمحصلة الأخيرة هي العودة إلى ثنائيات جديدة مستمدة من ثنائيات العصر الوسيط:

الزمن – الأبدية

الشخص — الحدث

ومن هنا بالذات يأتي الفصل بين الميلاد في بيت لحم وتأسيس الكنيسة وهو خطأ الأنبا شنودة، ربما عن حسن نية وربما بسبب مشاعر متضاربة.

ما حدث في العلية عندما سلم الابن جسده ودمه، وهي المناسبة الوحيدة التي سلم فيها جسده ودمه لنا، وبين ما حدث على الجلجثة، لا يمكن فصله؛ لأن الشخص واحد، ولأن الحدث لا يُقسم الشخص وإنما الشخص أي يسوع الرب هو الذي يجمع الأحداث معاً لكي تُعلن كلها عن شخصه كواهب للحياة. فالتقسيم هنا حسب فكر الأنبا شنودة يحدث للمسيح نفسه وهو ذات التقسيم الذي يفصل بين حلول الروح القدس في يوم الخمسين، وما هو مودع في كيان المسيح الذي لا نقدر أن نأتي إليه إلاَّ بالروح القدس. (لاحظ عبارات الأنبا شنودة: مسيح بيت لحم، مسيح الجلجثة ... ألخ من تقسيمات).

وهكذا انقسم القارئون في زمان الأب متى المسكين إلى مناقض فاقد الاتزان وإلى خائف متراجع عن الدفاع عن إيمانه. ولكل منهما الحجة العقلية المقبولة في الثقافة السائدة والتي يرحب بها المجتمع بل يطلبها بقوة ولو أدى الأمر إلى استخدام القسوة، لأن دخول الله المتجسد زمان وحياة الإنسان الخاطئ هو أمر مرفوض تماماً في كل ثقافة حتى في ثقافة اليهود أنفسهم، الذين كانت لهم النبوات والمواعيد وسمعوا الرب نفسه.

هكذا يحذرنا الأب متى المسكين من أن نسقط في ذات الفخ، وهو تحذير له ثمن باهظ دفعه ولازال يدفعه كل من يحاول أن يقدم الإنجيل في أي عصر من العصور، لأن القسوة فخر والتسلط قوة والخطية بكل صورها شجاعة واقتدار. أما المحبة فهي

ضعف، والبذل مرفوض تماماً، والغفران ممنوع بكل صور وأشكال وحروف القانون، أي قانون. أما الحياة فهي تحت سلطان الموت، ولذلك يجيء التهديد بالقتل "هموتك" "هقتلك" سهل على ألسنة العامة التي لم تعرف حلاوة الحياة في المسيح. "هدبحك" أي "سوف أذبحك". أما الذي ذاق حلاوة الحياة في المسيح يعرف أن الذي ذُبح جاء لكي يبطل ذبح الإنسان للموت، فقد داس الموت، لكن إذا ذُبِحَ الإنسان من أجل الرب، لا من أجل الموت، من أجل "القيامة الأفضل" (عب ١١: ٣٥ ) ينال الحياة الأبدية.

## مقارنة موجزة بين الأب متى المسكين والعصر الوسيط الأوربي:

لعل المقارنة بين هيو الفكتوريني والأب متى المسكين باتت ضرورية، بل ظهر الفرق الكبير بين الاثنين في عدة نقاط هامة، ولكن حتى لا ينفذ صبر القارئ نضع هنا أهم ما يمكن ملاحظته بسهولة:

**أولاً:** لم يبحث الأب متى المسكين في الفرق بين الإرادة والضرورة والحتمية، لأن المقولات الفلسفية لم تدخل في شرح إنجيل يوحنا ولا في شرح الإفخارستيا، بل ظلت بعيدة لأن الأب متى المسكين ألتزم ليس فقط بالجانب السري أو المستيكي، بل أخضع له حوادث التاريخ المتتابعة في حياة الرب يسوع. لان رب التاريخ ليس محصلة حوادث ومواقف تجعله يُعلن ذاته حسب الظروف، بل هو الكائن في كل مكان وزمان حتى وهو علي الأرض متجسداً يظل في "حضن الآب" يحرك الأحداث والظروف لكي يجعلها استعلانات للخلاص.

**ثانياً:** ما حدث في العلية لا يختلف جوهرياً عما حدث علي الجلجثة. ليست الأحداث هي التي تصنع الخلاص، بل الرب الذي يؤسس و يصنع الخلاص. ولعل أهم مشاكل العصر الوسيط عامة هي فرض سلطان التاريخ علي تدبير الخلاص. كأن كل حدث علي حدة، مثل بيت لحم أو العلية أو الجلجثة هو حدث منفصل لا علاقة له بما حدث من قبل. فليس لدينا مسيح بيت لحم، ومسيح الأردن، ومسيح ومسيح ... ألخ

كل هذه تمثل عجزاً واضحاً في فهم تدبير الخلاص، ولأن بيت لحم والمعمودية في الأردن والعلية والجلجثة ليست هي ينابيع التجديد المنفصلة، بل المسيح نفسه الذي يعلن ويُعطي ما هو جديد في بيت لحم وهو اتحاد اللاهوت بالناسوت والولادة من الروح القدس، ثم ينتقل المسيح في البرية ويدخل مملكة الموت بجسده ونفسه الإنسانية كلاهما معاً بسبب الاتحاد بأقنومه الإلهي يبيد الفساد من الجسد ويعتق الأسري من الجحيم، ثم يقوم لكي يدوس سلطان الموت ويصعد إلى السماء لكي ندخل نحن إلى ذلك المكان الذي تقول عنه صلاة القسمة "لم يدخله ذو طبيعة بشرية".

هذه هي ألحان الخلاص وخبرة معاشة عبَّر عنها الأب متى المسكين في أعياد الظهور الإلهي وغيرها من مقالات وكتب. ويبقي سؤال: أليست هذه جريمة كبري في حق تاريخ الكنيسة والإيمان نفسه وشعب الله وأولاده أن تحاول يد البطش والجهل أن تضرب وتطمس هذه الإنجازات؟

**الحكم هو للتاريخ الآتي.**

وهو حكم نراه مُسبقاً من خلال بقاء الليتورجية والحياة الروحية حتى عند الذين يجهلون الآباء. فالكنيسة تستعد تاريخها كله في تحليل الخدام، وشهادة قديسيها في "المجمع" وتعود دائماً إلى استعلان الثالوث في كل صلاة، واستدعاء للروح القدس وسوف تظل أسماء المعلمين العظام: أثناسيوس وكيرلس وغيرهم التي تُقال في كل قداس؛ تدفع كل جيل لكي يبحث عن كتب هؤلاء ولكي يدرك أن ما جاء به الأب متى المسكين هو ذات ما أستقر في كتابات الآباء وما تُعبر عنه الليتورجية.

الفصل الرابع

# حول كتاب الإفخارستيا للأب متى المسكين

## المنهج:

يمثل كتاب الإفخارستيا حلقة من حلقات البحث في تراثنا الكنسي تشمل حياة الصلاة، والقديس أثناسيوس، والرهبنة في عصر الأنبا مقار، والإفخارستيا عشاء الرب.

قدَّم الأب متى كتابه بكلمات موجزة حملها عنوان الكتاب "بحث في الأصول الأولى لليتورجية". ويعرف القارئ الذي درس تاريخ الكنيسة، أننا ورثنا الكثير من صلوات خاصة بالإفخارستيا لم تدوَّن كلها في العهد الجديد، بل أُسست على تعليم الرسل، مثل تعليم الإثنى عشر – قداس إداي وماري[1] – قداس هيبوليتوس – قداس سرابيون أسقف تمي الأمديد في شمال الدلتا، وأهم من كل هذه قداس كنيسة الإسكندرية لمار مرقس مؤسس كنيستنا.

## دقة البحث وأرثوذكسية الأب متى المسكين

لا يحتاج الأب متى المسكين إلى من يدافع عن أرثوذكسيته لأنه يحيا الحياة الأرثوذكسية النسكية في أقدم دير من أديرة الكنيسة التي أسست الرهبنة في المسيحية وهي كنيسة مصر.

---

(١) حسب التقليد السرياني هما من الـ ٧٠ رسولاً.

اعتمد الأب متى المسكين على كل الوثائق القبطية واليونانية، من الآباء ووثائق التاريخ الكنسي، واعتمد في موضوع مائدة الأغابي في الباب الرابع (راجع ص ٢٩٥ وبعدها) على كل المدونات القبطية مثل "الرسالة الرسولية" (ص ٣٠٠)، وعلى ما نشر من وثائق قبطية باللهجة الصعيدية (ص ٣٠٣).

هذه النصوص لم تنل أي اهتمام من أي باحث قبطي من قبل، ولذلك يُعد الأب متى المسكين هو أول قبطي يدرس هذه النصوص في مصر، ولم يهتم الذين درسوا الطقوس القبطية من علماء الكنيسة القبطية في العصر الوسيط – يوحنا بن سباع، وفي العصر الحديث يوحنا سلامة، وأخيراً الأب منقريوس عوض الله بالعودة إلى بداية تاريخ الطقوس. كان من الضروري نشر الدراسات التي نالت أكبر اهتمام من علماء التاريخ الكنسي في الغرب (راجع ص ٣١١ وبعدها من كتاب الإفخارستيا)، ذلك أن الباحث لا يملك أن يقدم للقارئ القبطي، الذي حُرم من معرفة تراثه ويحيا في فراغ كبير جداً في مجال الدراسات التاريخية القبطية، أن يخفي الدراسات التي اعتمد عليها. والأب متى المسكين ليس "مجمع مكاني" يصدر قرارات مجمعية، وهو لا يدعي أنه جمع هذه الدراسات من "اللوح المحفوظ" أي أن دراسته ليست "تتريل من رب العالمين"، بل هي بحث يمثل أفضل ما يمكن أن يصل إليه أي باحث في العصر الحديث، والذين درسوا الليتورجيات يعرفون ذلك. ووليمة الأغابي من معالم القرن الثاني وربما الأول (ص ٣١٢ وبعدها) وكتاب تعليم الإثنى عشر – الذي أشار إلى وليمة الأغابي – معروف للقديس أثناسيوس، وأشار إليه في رسالة أو خطاب الفصح رقم ٣٩ (راجع كتاب الإفخارستيا ص ٣٣٣).

هذه مدونات تراثنا مفتوحة أمام عيون كل الباحثين، وكعادة الأب متى المسكين اختار ما يناسب القارئ القبطي، ولذلك يسجل دون تردد رأيه الذي يختلف عن رأي علماء الغرب (راجع الحاشية تحت ص ٣٣٧). فهو لا يقبل ما هو سائد في الكتب الغربية، ولذلك ميَّز بين الأغابي والإفخارستيا. بل لعل القارئ يلاحظ أنه ابتداء

من ص ٣٤٢ وبعدها يقدم الأب متى المسكين ما ورد في النص القبطي لقوانين الرسل القبطية، وهي ليست من مؤلفات الغرب و لم تكتب إلاَّ باللغة القبطية، وهي مثل قوانين هيبوليتوس التي ضاع أصلها الكامل القبطي وبقي لدينا النص العربي.

هكذا سار الأب متى المسكين على ذات الدرب الذي سار عليه منذ بداية مسيرة عمره، الإصرار الدائم على تقديم التراث القبطي كاملاً مدروساً لكي تتعلم الأجيال الآتية وتتذوق الجمال والحرية، ومحبة الرب يسوع المُودع في تراثنا القبطي.

بعد هذا الجهد يأتي الافتراء والكذب من الجهل بالتراث.

## بين العقيدة والممارسة

ما هي علاقة الصوم بالتناول من جسد الرب ودمه؟

كيف يمكن لأي إنسان أن يجعل الممارسة عقيدة؟

هذا هو الاتجاه السائد في الأصولية التي تُحارب التاريخ وتجعل كل من يختلف معها هو خلاف علي عقيدة من العقائد.

إن منهج تجريم أي باحث باستخدام الممارسة الطقسية كسيف يقطع الرقاب ليس هو منهج المسيحية عامةً، ولا الأرثوذكسية خاصةً؛ لأن المقياس الذي تُقاس به الأرثوذكسية هو "الإيمان" وليس الطقس بدليل تنوع الطقوس الأرثوذكسية عند شركائنا في الإيمان: الأحباش والسريان والأرمن.

## الصوم حسب تسليم آباء البرية

عندما زار يوحنا كاسيان برية الإسقيط في آخر القرن الرابع وأول الخامس سجل ما دار بينه وبين أعمدة الحياة النسكية في مصر من حوارات، تكشف لنا عمق وجمال وحرية هؤلاء.

## اللقاء مع الأنبا موسى[١]

يقول الأنبا موسى، والناقل هو يوحنا كاسيان:

**"ما نكسبه من الصوم لا يعادل الخسارة التي تلحقنا من الغضب. والفائدة العظمى من القراءة لا تقارن بالجرح الناتج عن احتقار أخ".**

(الحوار الأول: ٧).

فلم يضع الأنبا موسي الصوم علي قدم المساواة مع ضبط النفس.

وفي اللقاء الثاني مع الأنبا موسى، ذكر الأنبا موسى أول مؤتمر للحياة الرهبانية حضره وهو شاب صغير، وحضر هذا المؤتمر القديس الأنبا أنطونيوس الكبير ( حوالي ٣٦٠)، جاء الشيوخ لكي يسألوا الأنبا أنطونيوس عن الكمال، واستغرق اللقاء الفترة من المساء حتى الصباح. يهمنا هنا ما قيل عن الصوم وبالذات العبارة اليونانية القبطية التي كانت مثلاً شائعاً في الإسقيط:

"المتناقضات تلتقي معاً ακροτηες ισοτηες".

والمتناقضات مثل البطنة أو محبة الطعام الكثير، والانقطاع الطويل عن الطعام، كلاهما ضار لأن الصوم لفترة طويلة يضعف ويقلل من الاحتراس الروحي، ويصبح الصائم مثل الجندي الذي ينام نوماً ثقيلاً.

وفي اللقاء مع الأنبا موسى يؤكد الناسك القبطي:

**"بخصوص الصوم، فلا توجد قاعدة أو قانون واحد للكل لأنه ليس للكل طاقة واحدة (قدرة واحدة)، والصوم ليس مثل الفضائل، يدوم بثبات القلب، بل يعتمد الصوم على قدرات الجسد".**

(٥: ٥).

---

(١) **أحد متوحدي القرن الرابع – الخامس.**

إن ثبات القلب هو الغاية، وهو لا يتحقق بالانقطاع عن الطعام؛ لأن الصوم ينتهي بالأكل.

**«الانقطاع الصحيح لا يقاس بزمان الانقطاع وحده، ولا بنوع الطعام بل هو قبل كل شيء آخر هو فحص القلب».**

(٥: ٩).

**«لكي نحفظ القلب والجسد في أفضل حال، لا يكفي الانقطاع عن الطعام إلا إذا تزامن الانقطاع عن الطعام مع فضائل القلب الأخرى».**

(المرجع السابق).

## الصوم ليس من وصايا الله

في اللقاء الأول مع الأنبا ثاؤنا وهو الفصل ٢١ في كتاب كاسيان والفقرة ١٣، يسأل كاسيان عن الصوم، وما هو الصوم الصحيح أو الجيد. ويجيب الناسك القبطي:

**"إذا بحثنا عن أسلوب الصوم (طريقة الصوم) وهل هو صالح مثل البر، والاحتمال وضبط النفس وسائر الفضائل الأخرى، وهل يختلف الصوم عن هذه الفضائل، وهل هو مثل الممارسات التي تصلح في أوقات، ولا تجوز في غيرها، وإذا تركت لا يجلب علينا تركها دينونة. فإذا اعتقدنا بأن الصوم هو ضمن قائمة الفضائل وأن الانقطاع عن الطعام يحسب ضمن الأمور الصالحة في حد ذاتها، عند ذلك يصبح تناول الطعام شراً وخطأ لأن كل ما هو ضد أو مختلف عن ما هو صالح بالطبيعة هو بالضرورة شر حسب طبيعته. ولكن حسب سلطان الأسفار المقدسة، لا يسمح لنا بأن نعتبر تناول الطعام شراً. لأننا إذا صمنا واعتبرنا أن الأكل شر، وكانت هذه هي نية القلب واعتقدنا بأننا لو أكلنا نسقط في**

**خطية، فإننا لا نجني أي شيء من الانقطاع، بل بالحري نسقط في ذنب كبير، وخطية عدم التقوى التي يقول عنها الرسول: "آمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لنتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق" (١تيمو ٤: ٣)، "لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر" (١تيمو ٤: ٤)، وأيضاً "أن من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس" (رو ١٤: ١٤)".**

(المرجع السابق).

## النتائج:

عندما يصبح الصوم فريضة مثل فرائض اليهودية والإسلام، فأن كسر هذه الفريضة يصبح "ذنباً" و "خطية". لكن المسيحية الحقيقية لا تقوم ولا تسقط بوجود أو عدم وجود الفرائض؛ لأن أساس المسيحية هو شخص "يسوع المسيح" وليس الشريعة أو الناموس[١].

ولذلك الصوم قبل التناول هو "احتراس روحي" وطلب للطعام السماوي قبل الطعام الأرضي حسب استطاعة الإنسان، لاسيما "مرضى السكر"، أو الذين تفرض عليهم الظروف الصحية الأكل قبل التناول.. أو المرضى الذين يجب عليهم تناول الأدوية.... الخ.

وعندما تصبح ظروف الإنسان وقدرته على الممارسة هي قاعدة فهم الصوم، لا يصبح الصوم "فرضاً" إجبارياً وتعدي على وصايا الله. ولذلك نرجو من الآباء الكهنة عدم تكرار هذا التحذير غير المسيحي: "اللي مش صايم مايتناولش"، أي منع التناول عن غير صائمي الصوم الكبير أو غيره. لأن قاعدة الأرثوذكسية هي الإيمان

---

**(١) في الكتاب الثالث من هذه السلسلة سوف ننشر الرد على "محاربة الناموس والأعمال" (ص ٢١٧ وما بعدها في كتاب بدع حديثة؛ لأن هذا الفصل بالذات لا علاقة له بالمسيحية.**

والعقيدة، وتعدي قواعد الإيمان هو الذي يمنع من التناول، وإذا وجـــدنا أي قـــانون كنسي يتعارض مع الإيمان مهما كان مصدره يجب الاستغناء عنه.

**ملاحظة هامة:**

لم يدخل الأب متى المسكين من هذه "البوابة" الممنوعة، أي تاريخ الأصـــوام و لم يكتب ما وضعناه في هذه الصفحة، و لم يشجع حتى علـــي البحـــث في تـــاريخ الأصوام لسبب واحد وهو أنه راهب[1]، والرهبنة لا تبحث في تاريخ ومدة الانقطاع.

(1) كاد الراحل الكريم القس كيرلس كيرلس أن يفقد كهنوته بسبب بحثه في تاريخ الأصوام.

الفصل الخامس

# الإيمان الأرثوذكسي،
# ودراسة التاريخ الكنسي

وصايا الرب يسوع المسيح وحياته موته المحيي وقيامته ليست فصولاً في كتاب تاريخ، بل "المسيح هو حياتنا كلنا" كما نقول في أوشية الإنجيل أو كما نصلي في أوشية السلام "اسمك القدوس هو الذي نقوله، فتحيا نفوسنا بروحك القدوس" المسيح يسوع "هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨). فهو ليس حدثاً Event من أحداث التاريخ ينتهي، بل هو رب الحياة الذي يعطي الحياة. حقاً أن التاريخ يشهد له، ولكنه فوق التاريخ. كتب عنه المؤرخون أنه "صُلب على عهد بيلاطس البنطي"، ولكن الصلب لم يكن حدثاً تاريخياً فقط، بل قوة تحرر كل الخطاة، حررت موسى الأسود القاتل واللص، وحررت أوغسطينوس، ولا تزال تعمل فينا نحن الذين نسعى لأن نكون "لُبَّاس الصليب" ولا نقف عند حادث تاريخي مهما كانت قوته، بل عند ينبوع الحياة التي كانت عند الآب والآن أظهرت (١يوحنا ١: ١ — ٣).

هكذا كتب الأب متى المسكين "دعوة تعارف" ودعانا إلى أن يتغلغل المسيح المصلوب والحي فينا لكي نحيا به وفيه.

لقد أشرنا من قبل إلى أن أحد مساهمات الأب متى المسكين هي ضرورة استعادة كتابات الآباء ودراسة التراث الكنسي والعودة إلى تبني الرؤية الآبائية الشاملة. لعل القارئ الذي درس لاهوت العصر الوسيط في الغرب ولاهوت العصر الوسيط في الكتابات العربية المسيحية قد لاحظ أن النظام العقلي الذي اتبعه الكل وهو اللاهوت

النظامي Systematic قد فصل وقسَّم من أجل الدراسة، ولكن التقسيم خلق الفصل بين الثالوث والتجسد، والتجسد والأسرار... الخ.

وهنا يجب الاعتراف بالحق من أجل صدق الدراسة، ومن أجل الشهادة أن المؤلفات الغربية اعتمدت على انثولوجيات من الآباء أغلبها من القديس أوغسطينوس ويوحنا الدمشقي، وهو ما نراه بشكل ظاهر عند توما الاكويني في الخلاصة اللاهوتية وفي المؤلفات الأخرى[1]،وهكذا منذ مجمع الفاتيكان الثاني بل قبله بعدة سنوات، شهدت الجامعات الكاثوليكية نهضة كبرى في مجال اكتشاف الصلة بين العصر الوسيط في الغرب، وبين لاهوت الآباء شملت الليتورجية والحياة النسكية ومنهج شرح الكتاب المقدس والعقيدة.

ولعل أهم ما صدر غير دراسة الأب De Lubac مجلدات الأب Hans Urs Von Balthasar نشرت بالألمانية والفرنسية والإنجليزية بعنوان The Glory of the Lord ثم Theo - Drama، وبعدها Theo - Logic وهي أهم حلقات التواصل مع لاهوت الآباء في مجال الثالوث والإنسان والفلسفة، والجمال والخير والحياة الروحية.

في الشرق بدأت سلسلة المؤلفات العربية المسيحية منذ حوالي ٢٠ سنة وتوقفت، ولكنها أعادت إلينا حلقة مفقودة من تراثنا المسيحي الشرقي. وأصبح من الضروري أن يعاد تقييم هذه الحلقة، واكتشاف العلاقة غير الواضحة بين مؤلفات يحيي بن عدي، أولاد العسال – بولس البوشي، وقبل هؤلاء أسقف الأشمونين، وكتابات الآباء، لأن الضرب في عتمة وظلام الجهل سوف يصيب الضارب ويأتي بنتائج عكسية تماماً، لأننا لا نستطيع أن نحكم على شيء قبل أن ندرسه.

---

(١) من الدراسات المعاصرة الجيدة دراسة الأب **Henri De Lubac** نشرت في مجلدين بالفرنسية وبالإنجليزية ودرس فيها المؤلف بدقة تطور الفكر اللاهوتي ومنهج شرح الأسفار في العصر الوسيط:

**Henri De Lubac, Medieval Exegesis, The Four Senses of scripture 2000, vols 1 and 2**

## أولاً: تاريخ الطقوس وتطورها

دراسة التاريخ لا تنفي الأساس الرسولي للإيمان، بل تؤكده، ولكن التصور الشعبي غير التاريخي بأن كل شيء عندنا هو من العصر الرسولي بما فيه العمامة السوداء للآباء الكهنة، هو الذي يمنعنا من الوصول إلى التصور الدقيق، وهو أن الجوهر واحد لا يتغير، وهو جوهر الإيمان، والشكل الخارجي قد مر بتحولات كثيرة. ولعل أهم ما يمكن أن يقال هنا ونحن نعيد قراءة كتاب الإفخارستيا للأب متى المسكين، هو إن القداسات القديمة التي تبدأ بقداس القديس هبيولبتوس – قداس الأسقف سرابيون رفيق القديس أثناسيوس، ثم ما لدينا من قداسات تؤكد لنا تطور الممارسات وبقاء الجوهر، وهو: الصلاة والشكر – الخلق – الخلاص – إعلان الرب يسوع المسيح وحياته وموته وقيامته – العشاء السري – استدعاء الروح القدس – توزيع الجسد والدم.

هذه هي الثوابت والأساسات التي لا يمكن أن تتغير، ولعل مراجعة دقيقة لقداس القديس باسيليوس القبطي، وقداس القديس باسيليوس اليوناني، تؤكد لنا أن الفروق مصدرها تطور الطقس واختلاف المكان. وهنا يجب أن نتوقف أمام حقيقة ثابتة وهي أن جوهر القداس واحد، وأن ترتيب الصلوات وتنوعه واختلافه إنما هو ممارسة تعطي في النهاية الاشتراك في جسد الرب ودمه، وهي الغاية التي لأجلها وضع الترتيب.

لقد درجنا على استخدام كلمة طقس اليونانية، واكتفى الذين شرحوا الطقس أو الطقوس بهذه الكلمة، وردوها إلى الأسفار المقدسة لاسيما رسائل بولس الرسول، وسقطت عن حسن نية أو عن جهل الكلمة الكنسية الآبائية التي تحدد لنا الرؤية الشاملة ακολουθια وهي تعني:

**١–** ترتيب فصول كتاب من أجل هدف واضح يصل إليه المؤلف حسبما ذكر غريغوريوس النيسي (ضد أنوميوس: ١١ مجلد ٤٥: ٨٦٩).

**٢**– تعاقب فصول السنة حسب ترتيب العناية الإلهية (غريغوريوس النيسي عظة ١٢ على سفر النشيد مجلد ٤٤: ١٠٥٣).

**٣**– غاية التدبير الذي بدأ بالخلق من العدم، ثم يصل إلى الشركة في الطبيعة الإلهية، فهو ترتيب حسب قصد الله في يسوع المسيح (غريغوريوس النيسي عظة ٥ على سفر النشيد مجلد ٤٤: ٨٦٤).

**٤**– بل وتنوع وترتيب الأسفار يجب أن يؤخذ عند شرح الأسفار؛ لأن ترتيب وتعاقب الأسفار له غاية واضحة، وهي إعلان الابن المتجسد يسوع المسيح للخليقة كلها (اكليمنضس الاسكندري٢، المتنوعات ١: ٢٨ مجلد ٨: ٣٢٥).

**٥**– ولذلك حفظت لنا المخطوطات والطبعات القديمة هذه الكلمة ακολουθια في بداية طقس المعمودية بالذات؛ لأنه الترتيب الذي يهدف إلى غاية واحدة، وهو غرس عضو جديد في شجرة الزيتون أي الكنيسة الجامعة. ولذلك السبب سميت الأسرار الثلاثة، طقس الانضمام إلى الكنيسة، أو طقس الانضمام إلى المسيح.

لقد اختلفت المسيحية عن اليهودية في نقطة بالغة الأهمية (باقي الاختلافات لها مكان آخر)، وهي أن الطقس أو الطقوس أو الترتيب هو لغاية واضحة، وهي الشركة في حياة الله حسب الإنجيل، أما في اليهودية فهي بقاء الإنسان في إطار الممارسات وطاعة الشريعة والفرق هنا كبير جداً.

إن كل ما كتب ونشر في الـ ٥٠ سنة الماضية بأقلام قبطية أرثوذكسية لا يساوي١/٤ مما نشره الأب متى المسكين من دراسات، بل هو دون المستوي البحثي المقبول في جامعات تحترم عقل القارئ. والعبرة ليست في الحجم بل في النوع وفي الهدف الواضح للدراسات التي لا تكتب من أجل نشر البلبلة والشك، بل من أجل اكتشاف حريتنا في المسيح. وهنا يجب أن نتوقف أمام أدوات الشك نفسها لأنها معروفة لنا من خلال ما تنشره الصحافة ووسائل الإعلام.

## ثانياً: أدوات وأهداف الشك

**١**– الشك في ولاء الكاتب، وتصنيف الكاتب حسب الانتماء السياسي، وعندنا حسب الانتماء المذهبي. لدينا رصيد كبير من الخوف والريبة من كل ما يأتي تحت اسم "الغرب" وهو اسم شامل لكل ما نتصور أنه غير شرقي وغير مصري، وعند الجماعات الإسلامية ما هو غير إسلامي. والمشكلة الحقيقية هي في كلمة "غير"، إذ كيف تم تصنيف ما هو غربي، وما هو شرقي، وعلى أي أساس؟ والجواب غير موجود، والتصنيف خاضع ليس للبحث التاريخي، بل لقوة الداعية وسيطرة المتكلم أو الكاتب على مشاعر الناس والأتباع. وعلى المستوى الكنسي، صار كل ما هو غير مألوف أو غير معروف أو لم يدرس من قبل "بروتستانتي"، وهو يوصف بهذا الوصف لنشر الخوف، وبسبب الجهل التام بما يسمى بالبروتستانتية. وهنا يكاد الحياء لا الخوف يمنعنا من الكتابة لأننا إزاء مساحة كبيرة جداً من تاريخ الكنيسة المصرية لا نعرف عنها إلاَّ القليل جداً، وهي فترة تأسيس الكنيسة وانتشار المسيحية في مصر، ثم الفترة الذهبية وتطور النظام الكنسي في الـ ٣٠٠ سنة الأولى قبل أن تظهر الكنيسة على سطح الأرض بعد محاولة التدمير الشامل المدونة باسم عصر الشهداء. وبعد ذلك فترة الانحسار لاسيما العصر العثماني الذي ضرب كل شيء في مصر. ليس لدينا وثائق نُشرت باللغة العربية أو دراسات موثقة Documented.

يجب أن نعترف بأننا لا نعرف إلاَّ القليل، وأن القليل لا يصلح لأن يكون حكماً على ما ينشر من دراسات ذات مستوى عالمي لا يعرفه إلاَّ الذين لهم صلة بالدراسات العالمية المسيحية. وهكذا من قاعدة الجهل انطلق الهجوم.

**٢**– يجب أن نعترف بأن الأب متى المسكين ظاهرة فريدة في عصرنا؛ لأنه يحمل في قلبه وفكره كل ما هو قبطي، والدليل هو حياته الرهبانية والعمران الروحي والمادي الذي يعود له، هو أولاً، الفضل الأول والأخير فيه.

إن ما هو فريد يجب أن يدرس بعناية، ليس فقط من خلال التاريخ بل بأخذ الانتماء الظاهر حتى للأعمى، بأن الكاتب باحث فريد أغلق على نفسه وجلس يدرس وينقب ويحلل من أجل اكتشاف الترتيب الهادف الذي أشرنا إليه، والذي يقع حسب رؤية الآباء في إطار نقل الإنسان من الوجود البيولوجي إلى الوجود في المسيح، من آدم الأول إلى آدم الثاني أو الأخير الرب من السماء (١كو ١٥: ٤٧ ). هنا يجب أن نتوقف أمام الانتماء نفسه، هل يقصد الكاتب الذي يحيا داخل الدير إلى هدم الكنيسة؟ لو كانت لديه هذه النية لترك الرهبنة وعاد إلى "الحياة المدنية" ولكن اكتشاف مراحل التاريخ، وتطوره لا يفرض علينا قانون إيمان آخر لأن الإيمان يسبق كل شيء. ودراسة التاريخ لا تغير العقيدة لأن التاريخ يشهد للإيمان، والممارسات لا تغير الإيمان، والدليل البسيط هو أن طقوس الكنائس الأرثوذكسية الشرقية (القبطية – السريانية – الأرمنية – الأثيوبية) ليست واحدة بل مختلفة، والصلوات مختلفة والممارسات مختلفة ولكن الإيمان واحد.

و لم تعد الأديرة الآن في الـ ٥٠ سنة الماضية كما كانت منذ ١٠٠ سنة. وتداعى النظام الباخومي، ومع ذلك يظل جوهر الرهبنة واحداً لأن الحياة النسكية ليست في النظام بل في الالتصاق بالمسيح.

## ثالثاً: لماذا لا يفرض علينا التاريخ إيماناً آخر

كانت الكنيسة حتى آخر القرن الخامس تضع الجسد في يد المتناولين، وشهادة آباء الكنيسة لا يمكن الطعن فيها بالمرة، إلاَّ بواسطة من يجهل التاريخ والآباء. ثم جاءت أجيال لم تستفد من هذه الممارسة، بل حولتها إلى ابتذال، وإلى شعوذة وأبطلت الكنيسة هذه الممارسة.

هل تغير الإيمان بأن الإفخارستيا هي جسد الرب ودمه؟ الجواب بكل يقين لا. لأن الصلوات والتسابيح تحمل بشارة الإيمان والاعتراف به. وهكذا لا تفرض علينا

دراسة تاريخ الطقوس إيماناً آخر. وطبعاً سوف يأتي من يقول إن نصوص الآباء مثل كيرلس الأورشليمي قد زوَّرها الكاثوليك والبروتستانت لأن كيرلس الأورشليمي يقول عن التناول «عندما تقترب لا تمد ذراعيك ولا تفتح أصابعك، بل اجعل يدك اليسرى فوق اليمنى كما لو كانت عرشاً لكي تستقبل الملك، وبعد أن تقدس يديك تناول جسد المسيح وقل "آمين" » (تعليم الموعوظين ٢٣ عن الأسرار فقرة ٢١)، ونفس الممارسة عرفها العلامة أوريجينوس، الذي يذكر قبل القديس كيرلس بما يقرب من ٣٠٠ سنة «أنتم الذين تشتركون في الأسرار الإلهية عندما تأخذون جسد الرب احفظوه بكل عناية واهتمام وخشوع لئلا تسقط جوهرة منه أو تفقدوا جوهرة من العطية المقدسة».(عظة ١٣: ٣ على سفر الخروج).

ويعتبر القديس كيرلس السكندري أن وضع الجسد في يد المتناول ولمسه هو اعتراف بالقيامة (راجع شرح إنجيل يوحنا الكتاب ٢٢: ١ شرح يوحنا ٢٢: ٢٦ – المجلد الثاني – الترجمة الإنجليزية ص ٦٨٤ – ٦٨٥).

وفي الغرب عرفت هذه العادة حسب شهادة لاون الأول (٤٤٠ – ٤٦١). (في شرح الفصل السادس من إنجيل يوحنا).

لقد تغيرت العادة أو الممارسة، لكن جسد الرب ودمه يظل هو الأساس الثابت الذي لا يتغير، ولا توجد عادة أكثر قداسة من الأخرى؛ لأن الممارسة التي تصون وتحفظ وقار السر هي مقدسة بسبب النية والدوافع المقدسة، وهذه لا تقاس بالزمان أو القدم، ولذلك عادت الكنيسة الكاثوليكية بعد مجمع الفاتيكان الثاني إلى وضع الجسد في يد المتناول حسب تسليم الآباء.

## رابعاً: العلاقة بين الإيمان والتاريخ الكنسي والطقوس

لاشك بالمرة في أن الطقوس هي ترتيب يهدف ليس فقط إلى الاحتفاظ بالنظام كما ساد عندنا، بل إلى وضع علامات تشير إلى حضور الرب يسوع وتعلنه

حياً قائماً من بين الأموات، لكي تنير ضمائر وقلوب العابدين. وعلى سبيل المثال عندما ينحني الكاهن أمام الشعب وهو يقول: "السلام لجميعكم" بعد استدعاء الروح القدس دون أن يرشم بعلامة الصليب، لأن المسيح رئيس الكهنة يُعلن عن نفسه، وهو الذي يبارك الشعب. خلف هذه الممارسة إيمان، ولكن إذا نسى كاهن أو أسقف ورشم الشعب بعد استدعاء الروح القدس، هل تغير الإيمان؟ وإذا كانت هذه ممارسة قبطية محضة لا وجود لها في القداسات السريانية، فهل اختلف الإيمان؟ بل نحن لا ندخل الهيكل إلاَّ حفاة وغيرنا من الأرثوذكس، وفي مقدمة هؤلاء السريان لا يمارسون هذا الطقس. فهل اختلف الإيمان؟ والجواب بكل يقين لا. كان لدينا قانون إيمان سبق قانون إيمان مجمع نيقية وهو لازال في طقس المعمودية، ومع ذلك عندما جاء الآباء ورتبوا قانون الإيمان النيقاوي في ٣٢٥م أي بعد حوالي أربع قرون من تأسيس الكنيسة، لم يعترض إلاَّ الأريوسيون لأسباب تاريخية معروفة. ومع ذلك أصبح هو صيغة الاعتراف في القداسات وظل قانون إيمان الإسكندرية باقياً في طقس المعمودية. هكذا يجب أن نسأل هل تغير الاعتراف بالإيمان بالرب يسوع؟ والجواب لا لقد تغيرت الكلمات وبقى الإيمان كما هو.

الصوم قبل التناول. ليس لدينا قانون كنسي يفرض علينا الصوم قبل التناول، ولذلك ذكر كتاب القداسات الثلاثة (طبعة الدير المحرق) وفي مقدمة خدمة القداس الباسيلي ص ١٦٢: «العادة الجارية في كنائسنا القبطية الآن في الجيل التاسع عشر للمسيح هي أن يكون الاحتراس تسع ساعات قبل التناول». وقد أشرنا من قبل إلى كتابات الآباء النساك، وهم أكثر خبرة منا في الصوم لأن ما سجله يوحنا كاسيان في لقائه مع هؤلاء العظام هو جدير بالاعتبار.

## عودة إلى آباء البرية

وماذا يمكن أن نضيف إلى كلمات الأب ثاؤنا؟ الصلاح يمارس دائماً، ولا انقطاع بالمرة عن الأمور الجيدة النافعة التي هي خير في حد ذاتها. والصوم لا يدخل ولا يحسب مع الأمور الصالحة مثل الفضائل؛ لأننا لا نستطيع أن نصوم كل أيام حياتنا، ومن يظن أن تناول الطعام هو خطية فهو سقط في خطية كبيرة لأنه اعتبر أن خليقة الله غير صالحة ولا خير فيها، ولذلك يضع الأب ثاؤنا كلمات الرسول بولس كمقياس للحكم الصحيح على الأمور.

ويضع الأب ثاؤنا قاعدة الإفراز:

* الأمور الصالحة في حد ذاتها تمارس دائماً ولا ننقطع عنها أبداً وإذا أهملناها سقطنا بسبب الإهمال في خطية.

* الأمور الشريرة يجب أن ننقطع عنها دائماً.

(المرجع السابق فقرة ١٤).

ويقدم الأب ثاؤنا المثال الواضح:

الزواج، الزراعة، الفن، الاعتكاف للسهر في القراءة والهذيذ في الكتب المقدسة ويضيف إليها الصوم ويقول «هذه الأمور حسب وصايا الكتب الإلهية ليست أهدافاً للحياة، يجب أن نسعى إليها من أجل اقتنائها أو ممارساتها، لأنه لا يوجد بخصوصها وصية أو أمر إلهي، ولذلك إذا تركناها فنحن لا نخطئ. أما الأمور التي تنص عليها الوصايا إذا تركناها نجلب الموت على أنفسنا لأن ما أوصى (الله به) فعصيانها يجلب الموت».

ويعود الأب ثاؤنا بعد ذلك لكي يؤكد من جديد «لا يجب أن يصبح الصوم هو سبب عدم ممارسة التقوى والصبر والمحبة وباقي الفضائل أي ما هو صالح في حد ذاته بل أن يكون الصوم وسيلة لممارسة هذه الفضائل» (فقرة ١٥).

تناول الطعام أثناء القداسات حسب الممارسة القديمة، لا يغير من إيماننا بالمرة لأن الجسد والدم هو عطية الابن له المجد لنا، وهي عطية نستعد لها حسب قدرة كل واحد منا وحسب قاعدة الإفراز السابقة. وإذا ضاعت هذه الممارسات ووجدت الكنيسة أن حذف مائدة الأغابي، وتأجيل تناول الطعام بعد التناول، فهذه مسألة لا علاقة لها بالإيمان بجسد الرب ودمه، وإنما هي كما ذكرنا من قبل هي ἀκολουθια.

## الأصولية القبطية ودراسة التاريخ

لا يسمح لنا المجال أن نخوض في موضوع أسباب ظهور وانتشار الأصولية القبطية التي جرفت أمامها بقوة الكثير من القيم، وأصبحت مثل كل تيارات الأصولية تهدد الثقافة والحضارة في دول العالم الثالث والشرق الأوسط بشكل خاص. أمامنا الآن قضية ذات دلالة، وهي "العصر الذهبي" وقد ناقش علماء الإسلام هذا الموضوع وكتبوا فيه الكثير، ونكتفي بالإشارة إلى مؤلفات المستشار محمد سعيد العشماوي. لكننا في دائرة المسيحية الشرق أوسطية لم نناقش هذا الموضوع، ولازال هاجس القرون الخمسة الأولى يسيطر على مشاعرنا كأن ما عشناه وعاشته الكنيسة في عصور الفتح العثماني والمماليك هو ظلام أو شر. لكننا يجب أن نقف أمام مبادئ لا يمكن إنكارها ولا نملك أن نتراجع عنها:

**أولاً**: إن شهادة الأقباط عبر العصور، ذهبية كانت أم فضية، هي واحدة. شهادة بالاعتراف بالرب الواحد يسوع المسيح المخلص وبالثالوث سواء كانت باليونانية أو القبطية أو العربية، إنها شهادة "أم الشهداء". فالعصر الذهبي هو عصر الشهادة الذي يمتد عبر التاريخ القبطي كله، حيث نجد مرقس المتوحد بجبل أنطونيوس الذي رد آلاف من المسيحيين المرتدين إلى الإيمان، والأنبا إبرام أسقف الفيوم، وغيره من أسماء شهود وشهداء ولدوا وعاشوا حتى في الوقت الذي كنا لا نعرف فيه إلاَّ

القليل، لأن القداسة لا تعطى ولا نحصل عليها من المعرفة، بل من الروح القدس. هذه شهادة الكنيسة الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية.

**ثانياً:** تمثل المؤلفات اليونانية الإسكندرية الزخم الهائل الذي علم الكنيسة الجامعة. عاش الآباء العظام: أثناسيوس وكيرلس وغيرهم في الكنيسة، وكانت الكنيسة هي الأساس وليست المجلدات الكبيرة التي تفتخر بها كل مراكز الدراسات والجامعات في العالم كله. هذا الزخم متنوع، ويختلف تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس السكندري عن تفسير العلامة أوريجينوس، بل كلاهما يختلف عن تفسير نفس الإنجيل للقديس يوحنا ذهبي الفم. ويبقى التنوع ثراء عظيم تحاربه الأصولية عندما تجد في كتب الآباء ما يغذي الحرية ويرفع البذل والغفران كراية للبحث والسعي وراء أعماق أسرار كلمة الله في الأسفار الإلهية. والسبب هو أن الأصولية تريد حصار العقل، وحصار العقل مستحيل تماماً بسبب تنوع التفسير. فقد فسر الآباء الطِّلبة الخاصة بالخبز في الصلاة الربانية بأكثر من تفسير، فعند أوريجينوس الخبز هو الإفخارستيا وعند القديس كيرلس السكندري الخبز هو قوت اليوم[1]. وكل منا يأخذ ما يناسبه. ولذلك السبب لم تحارب الكنيسة تنوع تفسير الأسفار، ولكنها حاربت أن يصبح التفسير مجالاً للطعن في الإيمان.

**ثالثاً:** تريد الأصولية ممارسة معينة وتدافع عنها بكل قوة، لأن هذا هو أسلوب حشد الأتباع، لكي تغلق باب البحث في كتب التاريخ، رغم أن الباحثين لم يطلبوا عودة ممارسات قديمة أبطلت، ورغم أن شهادة التاريخ تؤكد لنا أن الإيمان واحد في العالم كله، وأن الطقوس المتنوعة قبطية وسريانية وغيرها ليست هي جذر وجوهر الوحدة بين الكنائس وإنما هو الإيمان.

إن البحث في التاريخ القديم يؤكد لنا حقائق هامة لا يجب أن ننساها:

---

**(١) العلامة أوريجينوس "خبزنا الذي للغد" حسب النص القبطي وهو خبز القيامة والدهر الآتي (مقالة عن الصلاة فصل ٢٧). أما القديس كيرلس فقد أخذ بعبارة إنجيل لوقا "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم" ولم يجد أي ضرر روحي من أن نطلب قوت اليوم إذا كان لدينا إيمان واتكال على الرب (عظات على إنجيل لوقا عظة ٧٠).**

**١**– إننا نملك ذات الإيمان وذات الشهادة وذات الاعتراف عندنا وعند غيرنا، وأن هذا شهادة للوحدة على أساس الإيمان، رغم تنوع واختلاف الطقوس.

**٢**– إن ممارسة رشم الصليب بأكثر من أصبع وبعدة طرق تؤكد ليس فقط حرية المسيحي بل وحدة الشهادة لرشم الصليب، أي أن اختلاف الممارسة يؤكد وحدة الإيمان ولا يهدمها ويدعم ذلك رشم الصليب.

**٣**– لقد اختلفت فترات الصوم وطريقة الصوم من عصر إلى عصر ونحن الآن لا نصوم "السبت الكبير" بالمرة، ومع ذلك لا نشعر بأننا اقترفنا ذنباً كبيراً، وضاع الترتيب الخاص "بالموعوظين" وإعداد الشعب للمعمودية، واحتل "أحد التناصير" مكانة فريدة وهو تطور يحتاج إلى تعديل و لم يفصلنا هذا عن الإيمان أو الكنيسة و لم يهدم سرّ المعمودية.

**٤**– بل لقد دخلت تعديلات كثيرة على كتاب "القطمارس" ولكن ظل مكان قراءة الأسفار محفوظاً في القداسات، وظلت كلمة الله تقرأ لأن ترتيب القراءات يساعد على فهم الإيمان، ولكن الإيمان، يؤخذ من كل الأسفار ولا يبنى على ترتيب الفصول.

**٥**– البحث في تاريخ الطقوس، والممارسات الكنسية ضروري لأنه المجال الوحيد الذي يعطي لنا التحرر من "الناموسية" و "الجمود" و"روح الفرائض" ولذلك لا تخاف الأصولية من شيء أكثر من استيعاب التاريخ. وقد ترك لنا الآباء مجلدات من التاريخ ليس فقط أشهرها وهو تاريخ الكنيسة "يوسابيوس القيصري" بل غيره مثل سوزومين وسقراط وجيروم... الخ. وفي الشرق كان كتاب "الروح القدس" للقديس باسيليوس هو أول بحث كتب عن تاريخ الممارسات والطقوس، وفي الغرب كتاب القديس أوغسطينوس عن "العقيدة المسيحية" لذلك نحن لا نبحث في أمور أتت إلينا من الغرب أو كُتبت في الغرب لكي تنشر الارتباك والفوضى، وتفصلنا عن الإيمان. ولعلنا هنا يجب أن نذكر أن كتاب تاريخ البطاركة للأسقف ابن المقفع، وما تلاه بعد

ذلك قد سجل لنا الكثير عن الممارسات الكنسية التي لم تعد تمارس عندنا الآن، ويؤكد ذلك أيضاً كتاب "مصباح الظلمة" لابن كبر. وما أكثر القوانين التي صدرت من مجامع مصرية في العصر الوسيط لحل مشاكل معينة أو للفصل في منازعات خاصة ثم أهملت. دراسة التاريخ جزء من إيماننا، لأن تاريخ أسفار الكتاب المقدس بدأ بمقدمات الأسفار للعلامة أوريجينوس ثم أكمله الآباء الذين جاءوا من بعده وهؤلاء لم يكتفوا بما كتبه أوريجينوس، بل أضافوا إليه الكثير. ولعل عبارة شيخ مؤرخي العصر الحديث في مقدمة كتابه عن تاريخ أوربا تلقي بعض الضوء علي السبب الحقيقي، وراء الحملة المسعورة ضد الأب متى المسكين. يقول توينبي: "الأصولية تبدأ بنسيان التاريخ وتحيا في كهف الخوف من اكتشاف حرية السابقين، ولذلك تحارب دراسة التاريخ"، أليست هذه هي الحقيقة المؤسفة؟

# ملحق الفصل الخامس

نرجو من القارئ مراجعة الباب الخامس عشر في كتاب المجمع الصفوي لابن العسال حيث يجد أن الفقرة الأولي:

"الصوم امتناع الإنسان عن الغذاء وقتاً معيناً في الشريعة طاعة لمن شرعه لتمحيص الذنوب وتعظيم الثواب ..." (ص ١٧٠ – البابا الخامس عشر – طبعة جرجس فيلوثيئوس عوض).

ولا يوجد قانون كنسي يُحرم أكل اللحوم أو السمك أو غيرها وما لدينا هو عرف استقر في الكنيسة، لأن القانون الكنسي الذي يُحرم أي طعام مهما كان هو قانون خاص بهرطقة المانويين والغنوصيين وليس المسيحيين الأرثوذكس.

## نظرة نحو مستقبل أفضل

**أولاً**: إعادة تربية جماعة الرب علي الحرية المسيحية أي تلك الحرية التي لا تنفصل عن المسيح المصلوب، وتسعي إلى حرية القيامة والارتفاع فوق المستوي العام البيولوجي أو الجسداني للحياة، لأن الحياة الإنسانية الناهضة من الموت في يسوع المسيح والتي ذاقت طعم الحياة الأبدية وعربون الخلود لا تختار الأطعمة حسب لذة الطعام بل تسعي وراء الصوم العقلي والقلبي الذي يفوق الانقطاع عن الطعام، لأنه انقطاع عن الأطعمة العقلية، التي تسود علي الحياة العقلية، وهو السبب في صوم الجسد الذي يجب أن يرافقه اعتكاف للصلاة.

**ثانياً**: إن البحث عن "الطعام الصيامي" أفقد الصوم غايته لأن "الطعام الصيامي" هو في كثير من الأحيان أفضل وأغني غذائياً من غيره. ولذلك الصوم هو اختيار الأبسط والأقل لكي تتعلم النفس أن تقبل ما هو أقل لأن ذلك يشفي النفس من أحد فروع الكبرياء وهو طلب ما هو أعظم وأكبر... الخ.

**ثالثاً**: من الضروري الأخذ بتعليم آباء البرية وهؤلاء هم أكثر من عرف الصوم وما سبق وقدمناه في هذه الدراسة الموجزة يؤكد: اختلاف قدرات البشر – اختلاف طاقة الاحتمال، وهو ما يؤكد ضرورة بعث موضوع الحرية وهي حسب العبارة الشائعة في الإسقيط:

"حرية المحبة وليست محبة الحرية"

(أيفاجريوس – القول ١٣٥).

**رابعاً**: أن منع التناول عن غير الصائمين هو عقوبة كنسية حددها القانون الكنسي في حالات محددة وهي: الارتداد – الجرائم العلنية مثل القتل والزني – الهرطقة بعد محاكمة كنسية. ولا يوجد قانون يمنع التناول بسبب عدم الصوم والكنيسة التي تقود شعبها بالقانون وحده هي كنيسة فاشلة لم تدرك أن القانون ليس هو قاعدة الإيمان لأن قاعدة الإيمان هي التي تحرك كل شيء وكلمة قانون حسب الاشتقاق اللغوي تعني: الدفة التي توجه حركة السفينة ولكن حركة السفينة هي قوة دفع النعمة.

إننا نعش أيام ارتداد صعبة بسبب ضعف الرعاية الكنسية، ولأن الكنيسة عجزت طوال ربع قرن عن أن تواجه مشكلة الفقر – الهجرة من القرى إلى المدن – البطالة – انتشار الأمية الثقافية، وجد الفقر بالذات الباب مفتوحاً أمامه لكي يشتت قطيع المسيح. ولذلك أصبح ضرورياً بحث وتأصيل النظام المالي وحاجات الفقراء لاسيما في مجالات: التعليم – التأهيل المهني ... الخ.

# الفصل السادس

# الذبـــيـــحـــة

عندما يسود التاريخ علي التدبير لكي يشرح التدبير يبرز السؤال: متى قـــدم المسيح الرب جسده؟ وسيادة التاريخ نري تتابع الأحداث وحـــدها، لأن التـــاريخ لا يقدم غاية التدبير ولكن عندما يشرح التدبير التاريخ يجيب التدبير: قبل تأسيس العـــالم (أفسس ١: ٤).

وحسب التدبير: "افتُديتم ... بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهر في الأزمنـــة الأخـــيرة مـــن أجلكم" (١ بط ١: ١٨).

من العسير علي من تحرر من الفكر البشري الذي انغمس في منطق "السقوط" والخطية أن يتصور أن "تدبير الله" لم يكن رد فعل لسقوط آدم، بل كان دائماً فـــيض الصلاح والجود، لأن صلاح الله ومحبته ليس رد فعل لسقوط الإنسان بل هو حركـــة المحبة الأزلية.

## كلمة ذبيحة في المصادر الكنسية القديمة

وردت كلمة "الذبيحة في الصلوات الخاصة بسر الشكر في تعليم الإثنى عشر المعروف باسم "الديداكي" "لكي تكون ذبيحتكم طاهرة" (فصل ١٤: ١).

لكن الإشارات الأكثر وضوحاً نجدها عند الشهيد اغناطيوس الأنطاكي حيث استخدم كلمة المذبح على الأقل ٥ مرات في رسائله وهو يشهد للعبـــادة المســـيحية (راجع على سبيل المثال أفسس ٥١ مغنيسيا : ٧ ترالس ٧ فيلادلفيا ٤).

«إذا لم يقم إنسان في الهيكل حيث المذبح، فهو يحرم نفسه من خبز الله» (أفسس: ٥).

«اهتموا بأن تحفظوا إفخارستيا واحدة، لأنه يوجد جسد واحد لربنا يسوع المسيح وكأس واحد هو وحدتنا بدمه، ومذبح واحد، وأسقف واحد مع القساوسة والشمامسة» (فيلادلفيا ٤)[1].

ومع أن الشهيد يوستينوس تكلم كثيراً عن الإفخارستيا إلاَّ أنه حصر كلامه إما في الدفاع عن الإنجيل أو في الحوار مع تريفو للشهادة لما أعلنه العهد القديم من رموز عن العشاء السري (الحوار ٢٩، ٤١، ١١٦، ١١٧) ولكنه مثل المصادر الأخرى التي سبقته يتحدث عن الذبيحة.

## القديس ايرينيؤس: الذبيحة باكورة الثمار

**"علم الرب تلاميذه أن يقدموا لله باكورة الثمار من الخليقة، ليس لأن الله يحتاج إليها وإنما لكي يتعلم (التلاميذ) أن يكونوا مثمرين وشاكرين. وأخذ (الرب) خبزاً وهو من المخلوقات وشكر وقال هذا هو جسدي. وأيضاً الكأس وهو مثل الخبز مثلنا من المخلوقات وأعلنه دمه وعلم الذبيحة الجديدة للعهد الجديد، والتي استلمتها الكنيسة من الرسل تقدمها في المسكونة كلها لله إليه الذي يعطي لنا الطعام باكورة الثمار لعطاياه في العهد الجديد".**

(ضد الهرطقات ٤: ٥٠١٧ - راجع نفس التعليم ضد الهرطقات ٤: ١٠١٨ — ٤: ٤٠١٨).

---

(1) من هذا نعرف لماذا لا يقام قداسين على مذبح واحد في نفس اليوم لأن الاجتماع الإفخارستي واحد وإذا تلاه اجتماع افخارستي في نفس المكان أو الزمان فهو نذير بالانشقاق.

## العلامة ترتليان: الذبيحة التي تقدم عن الراقدين

**"نحن نقدم سنوياً القربان Oblationes Facimus عن الراقدين في ذكرى انتقالهم[١]، ويطلب من الزوج المسيحي أن يقدم الذبيحة عن نفس زوجته[٢]، وكذلك الأرملة عن نفس زوجها في ذكرى الانتقال[٣].**

## الشهيد كبريانوس: الذبيحة التي قدمها رئيس الكهنة الرب يسوع

**«إذا كان ربنا وإلهنا يسوع المسيح هو رئيس الكهنة لله الآب، وهو الذي قدم ذاته ذبيحة للآب وأوصانا أن نقدم تذكاراً له، فبكل يقين يخدم الكاهن ذات وظيفة المسيح فهو في مكان المسيح عندما يذبح ما ذبحه المسيح ويقدم في الكنيسة لله الآب الذبيحة الحقيقية الكاملة التي أعلن المسيح نفسه تقديمها لأنه رأى (الكاهن) كيف قدمها المسيح».**

(رسالة ٦٣: ١٤).

## قوانين الرسل، النص القبطي

الذبيحة التي قدمت قبل أن يصلب الابن رئيس الكهنة

**«لأنه هو رئيس كهنتنا الذي قدم ذبيحة روحية لله الآب قبل أن يصلب وقد أوصانا أن نعمل ذلك، وبعد صعوده نقدم حسب الطقس الذبيحة المقدسة غير الدموية(٤).**

خلف هذه النصوص تكمن حقيقتين:

**الأولى:** أن الرب قدم الذبيحة في عُلية صهيون من ثمار الأرض حسب كلمات القديس ايرينيئوس.

---

[١] De Corona: 3
[٢] De Exhort. Cart. 11
[٣] De Money 10.
[٤] G. Horner, the statues of the apostles, p 221, 292.

**الثانية**: أن كمال هذه النبوة هو في ممارسة الكنيسة لسر الإفخارستيا "لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يقرب لأسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود" (ملاخي ١: ١١).

ونرى في المصادر القديمة جداً مثل الديداكي نص ملاخي (فصل ١٤: ٣) وعند الشهيد يوسيتنوس (الحوار مع تريفو ٢٨، ٤١، ١١٦، ١١٧) والقديس ايرينيئوس (ضد الهرطقات ٤: ٥٠١٧ – ٦).

وفي قداس مار مرقس، وهو أقدم القداسات، يظهر نص نبوة ملاخي في بداية الأنافورا "هذه الذبيحة الناطقة".. "هذه التي تقربها لك جميع الأمم من مشارق الشمس إلى مغاربها.. لأن اسمك عظيم يا رب في جميع الأمم وفي كل مكان يقدم بخور لأسمك القدوس".

عندما نصلي نعترف بالإيمان، وعندما نعترف بالإيمان نكتشف الرؤية الشاملة لشركتنا مع المسيح حسب كلمات التقوى "لكي أكمل هذا القربان الموضوع الذي هو سر جميع الأسرار بصحبة وشركة مسيحك".

والقربان، الخبز والخمر، وحمل الفصح، وتقدمة ملكي صادق، وذبيحة اسحق، كلها تتداخل معاً في طقوسنا لكي تعطي لنا الأبعاد المتعددة للحمل.

## المسيح هو الفصح الجديد

وهو هنا بكل يقين هو حمل الفصح الجديد، فصح المسيح وفصح الكنيسة "المسيح هو فصحنا وقد ذبح لأجلنا" وكلمات الرسول بولس[1]"لأن فصحنا أيضاً

---

(١) عندما يذكر الرسول الخمير والفطير أي الخبز المختمر الذي لم يكن جزء من طقوس فصح اليهود بل منع تماماً فهو يؤكد لنا أن الخبز هو ممارسة الأمم وحق الأمم في المسيح ومع أن المسيح قد مارس الفصح بالفطير إلاَّ أن استعمال الخبز هو أيضاً معروف في سفر الأعمال وفي مواضع كثيرة من العهد الجديد، وهذا في حد ذاته يؤكد لنا حسب شهادة التاريخ أن المن السماوي لم يكن خبزاً، ولكنه كان رمزاً للإفخارستيا، وأن بيت الخبز أي "بيت لحم" لم تكن دلالة على الفطير بل الخبز لأن الفطير خاص فقط بالفصح وأن خبز الله النازل من فوق (يوحنا ٦: ٣٢) هو كما تقول الليتورجية "أنت هو الخبز الحي الذي نزل من السماء وسبقت أن تجعل ذاتك حملا بغير عيب" (صلاة تقدمة الخبز والكأس) والخبز والحمل كلاهما يحمل المعنى الخاص بالإيمان والإيمان هو الذي يشرح سبب اختيار كلمتين "الخبز والحمل" وكلاهما لا يمت للآخر

المسيح قد ذُبح لأجلنا" (١كور ٥: ٧). وحفظ لنا التقليد الليتورجي ما نعرفه عن "دورة الحمل"، بل حتى بعد التقديس وتحول الخبز والخمر إلى جسد ودم الرب، فإن صلاة القسمة للقديس كيرلس "يا حمل الله الذي بأوجاعك حملت خطايانا". تؤكد لنا بقاء الإعلان الإلهي عن الحمل ربنا يسوع المسيح. وقد كثّف الأب متى المسكين دراسته من الآباء (راجع الفصل الخاص بحمل أو خروف الفصح ص ٦٨ – ص ٨٠ لاسيما نصوص القديس كيرلس السكندري ص ٧٢ – ٧٣).

وخلاصة القول هو أن الرموز معاً تعلن السر ومحاولة استخدام رمز واحد أو لقب واحد يجعلنا نفقد الرؤيا الشاملة لعمل الرب الواحد والمتعدد على الصليب، وقد وقع مؤسسي حركة الإصلاح في هذا الخطأ الجسيم وبسبب الصراع ضد تعليم العصر الوسيط عن صكوك الغفران والمطهر، تمسك لوثر وكالفن بمبدأ واحد وهو إرضاء العدل الإلهي ودفع ثمن خطايا البشر الذي قدم للآب. وعندما تحصر حركة الإصلاح موت الرب على الصليب في هذا التعليم وحده وتجعله التعليم الوحيد الذي يعلو على كل ما أعلنه الرب علي الصليب، فإن رمز حمل الفصح ينفصل عن العلية والعلية عن الجلجثة. وتعسّف حركة الإصلاح في هذا عائد إلى المبادئ الأربعة التي قامت عليها حركة الإصلاح لهدم كنيسة العصر الوسيط وهي:

**١**– إلغاء ذبيحة القداس.

**٢**– إلغاء الكهنوت.

**٣**– إلغاء البابوية.

**٤**– الإيمان يؤخذ من الكتاب المقدس وحده أو حسب العبارة اللاتينية الشائعة Sola Scriptura.

---

**بصلة مادية منظورة ولكن كلاهما معاً يقدمان المعنى الخاص بالطعام أي الخبز غذاء وترياق عدم الموت والحمل الذي به عبرنا من الموت إلى الحياة.**

ولذلك كان لوثر ومن بعده كالفن هو أول من روج فكرة تعارض ذبيحة سر الشكر مع موت الرب يسوع على الصليب، وسوف نعود إلى هذه النقطة بالذات في الصفحات التالية، لكن الذي يهمنا الآن هو أن حمل أو خروف الفصح لم يكن ثمناً دُفع عن خطايا بني إسرائيل، فهذا غير وارد في الكتاب المقدس. وإنما كان البصخة أو العبور من الموت إلى الحياة، وهو المبدأ اللاهوتي الذائع في الشرق الأرثوذكسي بأن المسيح "بالموت داس الموت" وأنه كحمل "قُدِّم من الله نفسه لبني إسرائيل للخلاص من الموت، وأن هذا الرمز القوى ينير أحد أعمال الرب يسوع الخلاصية".

هكذا ألزمنا تغلغل فكر وتعليم قادة حركة الإصلاح في بعض ما نشره الأنبا شنودة والأنبا بيشوي، أن نعيد النظر في موضوع حمل الفصح، وأن نقدم أقدم ما قيل عن عيد الفصح والحمل حتى يدرك القارئ الأساس اللاهوتي الثابت الآبائي والأرثوذكسي ليس فقط لدراسة الآب متى المسكين بل لما حفظته الكنيسة القبطية من تراث رسولي وآبائي.

أقدم ما وصلنا هو عظة مليتوس أسقف ساردس حيث نرى في العظة نشيد الانتصار على الموت. هذه العظة ألقيت حوالي ١٩٠م وربما قبل ذلك وهي في اجتماع الكنيسة في عيد الفصح أي اجتماع الإفخارستيا.

**١- سمعتم كلمات سفر الخروج الذي يقرأه العبرانيون،**
**وشرحت لكم كلمات السر،**
**كيف ذُبِحَ الحمَل، وكيف خَلُصَ الشعب؟.**
**٢- أيها الأحباء اسمعوا وافهموا**
**كيف أنَّ هذا السر جديدٌ، رغم أنَّه قديم؟**
**كيف هو زمانيٌّ رغم أنَّه أبديٌّ،**
**بائدٌ مع أنَّه غير فاسدٍ،**
**مائتٌ مع أنَّه غير مائتٍ؟.**
**٣- قديماً حسب الناموس،**

لكنه جديدٌ حسب اللوغوس،
زماني لأنَّه رمزٌ
أبديٌ لأنَّه بواسطة النعمة،
فاسدٌ لأنَّ الحمَل (في العهد القديم) مات فيه،
غير فاسدٍ (في العهد الجديد) لأنَّه قائم بحياة الرب،
مائتٌ لأنَّه دُفِنَ في الأرض،
خالدٌ بالقيامة مِن الموت.
٤- الناموسُ عتيقٌ،
لكن اللوغوس جديدٌ.
الرمزُ زمانيٌ.
النعمةُ أبديةٌ.
الحمَلُ فاسدٌ.
الربُ غيرَ فاسدٍ.
لم يُكسَر مَنه عظمٌ كحملٍ.
قام حياً كإلهٍ.
لأنَّه سيق مثل حملٍ للذبح،
لكنه لم يكن حملاً (حيوان).
لم يفتح فاه كحمَلٍ،
لكنه لم يكن مجرد حملٍ.
حقاً، عَبَرَ الرمز، وجاء الحق.
٥- عِوضاً عن الحملِ، جاء الابن،
وعِوضاً عن الحملِ، جاء إنسانٌ،
وبالإنسان يجمع المسيح كل الأشياء.
٦- ذُبِحَ الحمل، وقادوه لِيُذبَح حسب الناموس.
يجب أنْ نفهم كيف تم هذا في يسوع المسيح،
الذي فيه عبرت كل الأشياء،

مِن الناموس القديم
إلى الكلمة الجديد.

.....

٨- وُلِدَ كإبنٍ،
وسيق مثل حملٍ،
ذُبِحَ كحملٍ،
دُفِنَ كإنسان،
قام حياً مِن الأموات كإلهٍ،
لأنَّه بالطبيعة إلهٌ، وإنسان.
٩- هو رب كل الأشياء،
كديانٍ، هو نفسه الناموس،
كمُخلِّصٍ، هو نفسه النعمة،
يلد (الخليقة الجديدة)، ويصبح الآب (المصدر)[١]،
يُولَد كإبنٍ (من الآب)،
يتألم، لأنَّه حملٌ،
يُدفَن كإنسان،
يقوم كإلهٍ.

.....

٣٥- حفظ دم الحمل إسرائيل،
اعتمد Baptized بالدم الذي سُفِكَ،
صار موت الحمل هو حصنٌ للشعب.

.....

٤٢- بعد أنْ شُيِّدت الكنيسة، وكُرِزَ بالإنجيل،
صار الرمز بلا فائدةٍ،
أعطَّى كل قوته للحقيقة،

---

(١) يصبحُ أباً للخليقة الجديدة، باعتبار أنه يلدها في نفسه.

**وصل الناموس إلى غايته،**
**أعطَّى قوته للإنجيل،**
**صار الرمزُ فارغاً،**
**سلَّم الصورةَ للحقيقةِ،**
**صار المثل بلا فائدةٍ بعد أنْ أعلَّنت معاينته.**
.....
**٤٣- حقاً انتهى الناموس بعد إعلان الإنجيل،**
**ترك الله الشعب (اليهود) بعد أنْ تأسست الكنيسة،**
**أُبيد الرمز عندما ظهر الرب.**
**٤٤- بالأمس كانت ذبيحة الحمل ذات فائدةٍ،**
**الآن بلا فائدةٍ، بسبب حياة الرب،**
**قديماً كان لموت الحمل فائدةً،**
**الآن بسبب خلاص الرب، صار بلا فائدةٍ،**
**كان دم الحمل ذات نفعٍ،**
**الآن بلا نفعٍ بسبب روح الرب**[1].

## خطأ جسيم:

فرض الأنبا شنودة الثالث ذبائح العهد القديم علي موت الرب المحيى علي الصليب لأنه مثل قادة الإصلاح نسى "حمل الفصح" و لم يسمح لصلوات الليتورجية الخاصة بالحمل أن تنير أدراك القاري لفهم أبعاد عمل الرب الخلاصي. وبذلك أصبح الرمز له سيادة علي الحقيقة.

---

(١) تُرجم عن اليونانية، ويمكن مراجعة ترجمة إنجليزية جيدة نشرها: **Richard C White** بعنوان:
**Melito of Sardis, Sermon on the Passover, 1976 and A. Stewart – Sykes, Melito of Sardis, Stewart Sykes, Melits, 2001.**

# الفصل السابع

# تعليم حركة الإصلاح
# الذي يتمسك به الأنبا شنودة الثالث

كان أول كتاب في علم اللاهوت يُنشر باللغة العربية هو كتاب "نظام التعليم في عصر اللاهوت القويم" والذي أعادت دار الثقافة نشره تحت اسم آخر هو: علم اللاهوت النظامي ١٩٧١ – والباب السابع تحت عنوان "في كفارة المسيح، الفصل الأول تعريف بعض الكلمات – الفصل الثاني لزوم الكفارة، الفصل الثالث المذاهب المختلفة في غاية الكفارة" (ص ٨١٨ – ٨٧٥) تشرح عقيدة الكنيسة المشيخية المصرية المعروفة باسم الكنيسة الإنجيلية. وأشار الكتاب في كل الأبواب إلى الوثائق الرسمية لإيمان الكنيسة الإنجيلية مثل أصول الإيمان:

* المسيح يمارس وظيفة كاهن بتقديمه ذاته مرة واحدة ذبيحة ليعوض العدل الإلهي حقه ص ٨١٨.

* كفارة المسيح تكفير عن الخطية وترضية الله وإيفاء العدل حقه ص ٨٢٢.

* مفاد تعليم الكتاب أن المسيح أوفى العدل الإلهي عن خطايا البشر. و هو أن ما فعله وكابده كان مُجازاة حقيقية. فهو أوفى العدل الإلهي حقه ص ٨٢٥.

* الإرضاء.. تحويل غضب الله وعودته تعالى إلى الرضا عن الخاطئ ص ٨٢٧.

وعلى كل صفحات الكتاب نقرأ من ص ٨١٨ – ٨٧٥ عبارة "إيفاء العدل الإلهي حقه" وهي عبارة تفسيرية لم ترد بالمرة في الأسفار كلها بمعنى أنها غير موجودة، وإنما هي خلاصة ما وصل إليه معلمون من حركة الإصلاح.

وهنا نحن لا نناقش ولا نبحث صحة أو خطأ هذه النقطة التفسيرية؛ لأن لهذا مجال آخر، ولكن الجدير بالذكر – كما ذكرنا سابقاً – هو أن موت الرب على الصليب هو الأساس، وما يحدث في عشاء الرب هو ذكرى، ولذلك يقول الكتاب ابتداء من ص ١٠٨٨ – ١٠٩٣ أن العشاء الرباني هو: تذكار موت المسيح.

وتحت عنوان ما هو القصد من العشاء الرباني، يرد ما يأتي:

* أن موت ابن الله المتجسد لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا هو أهم جميع الحوادث فاقتضى ذلك حفظه تذكاراً دائماً. ولهذه الغاية رسم مخلصنا المبارك هذا السر ص ١٠٩٥.

* التذكار، وذلك لأنه يذكرنا بموت المسيح كفارة عنا. وهو علامة ظاهرة لكون نظام العهد القديم قد بدل بنظام العهد الجديد أي أن الفصح تحول إلى العشاء الرباني بأمر المسيح وسلطانه ص ١٠٩٥.

* الإشارة إلى مستقبل الكنيسة وذلك لأنه ينبه جميع المؤمنين حول مائدة الرب إلى الاجتماع في السماء عند عشاء عرس الخروف السماوي.. فهو وليمة تمثل لنا تلك الوليمة العظيمة للمفديين في المجد إذ الخبز يشير إلى الخبز السماوي والخمر إلى تلك الخمرة التي سيشربها المسيح مع مختاريه في ملكوت أبيه ص ١٠٩٨.

وبعد ذلك يقدم الكتاب تعليم قادة حركة الإصلاح:

– زونجلي: العشاء الرباني مجرد علامة محسوسة تشير إلى موت المسيح بدون أن يكون فيه أدنى فاعلية في حد ذاته ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسدياً ولا روحياً.. هو تذكار لموت المسيح ص ١١٠١.

– لوثر: المسيح يحضر جسدياً ويصاحب العناصر(الخبز والخمر)، الخبز والخمر لا يستحيلان إلى جسده ودمه ص ١١٠١.

– الكنيسة الإنجيلية: فاعلية العشاء الرباني ليست فيه بالذات، بل بواسطة الروح القدس الذي يرافقه ويوصل فوائده إلى قلب المؤمن. والإنجيليون يرفضون قول

الباباويين بأن العشاء الرباني فعال في ذاته وأن العنصرين يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه ص ١١٠٣ – ١١٠٤.

وبعد ذلك ينتقل الكتاب إلى الرد على الباباويين أي الكاثوليك ويهاجم تعليم الاستحالة بعنف واضح ص ١١٠٥ – ١١٠٨. واعتبر أن تلك الضلالة انتشرت في الكنيسة الشرقية ١١٠٩ ويهمنا هنا الفقرة التي وردت في ص ١١١٥ ضد الاستحالة إذ يقول الكتاب:

«ومن ذلك أيضاً أن المسيح قال "هذا هو جسدي المكسور لأجلكم.. هذا هو دمي المسفوك لأجلكم" فإذا حدث حقيقة تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه عند وضع السر لزم أن جسده انكسر ودمه سفك مع أنه لم يزل هو حياً قدامهم وعلى ذلك مات المسيح وهو مع تلاميذه في العلية قبل صلبه بعدة ساعات فكيف كان جسده مكسوراً ميتاً ودمه مسفوكاً مع وجوده حياً قدامهم».

وعلى نفس الصفحة ١١١٥ وبعدها ص ١١١٦ يسأل الكتاب فماذا صار يا ترى حينئذ أخذ المسيح جسده في يده ووزعه على التلاميذ وهل كان جالساً على كمال جسده ومع ذلك مسك جسده بيده.

أما ما هو جدير بالاعتبار فهو ما ورد على ص ١١٢٠ – ١١٢١ «تقديم جسد المسيح بعد الاستحالة المزعومة ذبيحة كفارية لأجل خطايا الأحياء والأموات، وهذه الذبيحة على قولهم لا تختلف عن ذبيحة الصليب معنى وفاعلية. ولا يخفي أن في ذلك إهانة هائلة لذبيحة المسيح الحقيقية».

وعندما يعيد الأنبا شنودة الثالث ذات التعليم وبنفس العبارات التي لا سند لها في كتابات الآباء ولا في القداسات .. فهل يظل رغم ذلك أرثوذكسي؟

بكل يقين لا.

أليس أيفاء العدل الإلهي هو جوهر ما جاء في الفصل الخاص بـ"كيف تم فداء البشر"؟

ألم ينكر الأنبا شنودة الثالث أن الرب قدم جسده ودمه في عليـــة صـــهيون للتلاميذ (ص ١٣٢ مجموعة تأملات في أسبوع الآلام ص ١٣٢ الطبعة الثانية ١٩٩١).

إن صمت آباء المجمع المقدس عن جهل يغفر لهم، أما الصامت عن معرفة، فهو شريك في التعليم البروتستانتي لأسقف الإسكندرية الذي تحول إلى هذا المذهب بسبب كثرة دراسته لمؤلفات البروتستانت وابتعاده عن كتابات الآباء.

# ملحق الفصل السابع

## -١-

# من كتاب "خمس تأملات في أسبوع الآلام"
# لقداسة البابا شنودة الثالث

*"وكذلك قال جسدي الذي يُبذل وليس الذي بُذل ... ذلك لأن دمه قد سُفك يوم الجمعة، وجسده قد بُذل يوم الجمعة، اليوم الذي تم فيه الخلاص ...*

*إن حديثه يوم الخميس، كان عن الخلاص الذي سيتم يوم الجمعة. والفصح الذي احتفل به يوم الخميس، كان رمزاً للفصح الحقيقي الذي للعهد الجديد الذي يذبح عنا يوم الجمعة. وكأن الرب أراد أن يقول:*

*أن هذا الفصح الذي تأكلونه اليوم يرمز إلى جسدي الذي يُبذل عنكم غداً، ودمي الذي يُسفك عنكم غداً"* (ص ١٣٢).

وفي صفحة ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩:

*كأن الآب قد أعدّ مذبح المحرقة*

*في هذا اليوم، تحتفل الكنيسة المقدسة بتقديم السيد المسيح ذبيحة عنا. وهنا نود أن نشرح ما هو المقصود بكلمة ذبيحة، في بعض تفاصيلها ...*

*منذ أن بشر الله أبانا آدم بالخلاص، في قوله إن "نسل المرأة يسحق رأس الحية"* (تك ٣: ١٥)، *علمه من ذلك الحين أن يقدم ذبائح، ويسلم هذا لنسله:*

*وتعلم آدم بهذا أول درس في الفداء.*

لقد أخطأ فتعري، ولم تصلح لستره أوراق التين. فصنع له الله قميصاً من جلد، لعله جلد ذبيحة، وستره به.

فعرف أن الخطية معها العري، والذبيحة معها الستر.

وكان هذا هو الدرس الأول. وتوالت الذبائح من حيوانات طاهرة.

نفس طاهرة لم تخطئ، تموت عن نفس بشرية أخطأت.

وقرأنا عن محرقة هابيل الصديق (تك ٤) قدمها "من أبكار غنمه ومن سمانها". من أين عرف هابيل أن يقدم ذبيحة محرقة للرب؟ لعله عرف هذا بالتقليد، تسليماً من أبيه آدم، الذي تسلم هذا الأمر من الله.

وعبرت فكرة الذبيحة. أو عقيدة الذبيحة إلى جميع الأجيال. وقرأنا عن محرقات أبينا نوح (تك ٨) من الحيوانات الطاهرة. إنه نفس الدرس "نفس طاهرة تموت عن نفس مخطئة". وكان هذا هو الدرس الثاني.

وهكذا قرأنا عن محرقات قدمها أيوب الصديق عن أولاده قائلاً "ربما أخطأ بنيّ وجدفوا في قلوبهم على الله" (أي ١: ٥) "وهكذا كان أيوب يفعل كل الأيام" من أجل مغفرة خطايا أولاده ...

ومن سفك دم هذه الذبائح والمحرقات، ظهر الدرس الثالث وهو:

"أجرة الخطية موت" (رو ٦: ٢٣) للخاطئ أو نفس عوضاً عنه.

وجاء موسى النبي ليشرح بالتفصيل المحرقات والذبائح التي تقدم عن الخطايا وكانت كل منها ترمز إلى ذبيحة السيد المسيح من زاوية معينه. فلنأخذ إذن فكرة عنها، لنعرف ما الذي قدمه المسيح عنا في هذا اليوم، يوم الفداء العظيم.

نحن نعلم أن الإنسان قد أخطأ. وكانت خطيئته ضد الله ذاته. يكفي أنها عصيان لله وتمرد عليه، كما أنها انفصال عن الله وعدم محبته له.

وخطيئة الإنسان كانت لها نتيجتان: أولاً إغضاب الله، وثانياً هلاك الإنسان وجاء السيد المسيح ليعالج الأمرين معاً.

١ – يصالح الله الآب، ويتحمل غضبه، ويدفع له ثمن الخطية.
٢ – يخلص الإنسان المحكوم عليه بالموت، بأن يموت بدلاً منه.
٣ – أما أرضاء قلب الله، فكانت ترمز إليه ذبيحة المحرقة.

لذلك وضعت في مقدمة الذبائح كلها، في الإصحاح الأول من سفر اللاويين. وقيل عنها ثلاث مرات في هذا الإصحاح إنها "محرقة وقود، رائحة سرور للرب" (لا ١: ٩، ١٣، ١٧).

ولأنها كانت خاصة بالله وحده، ما كان يأكل منها أحد، لا الكاهن، ولا اللاوي، ولا مقدم الذبيحة، ولا أصحاب مقدمها. إنما كانت تأكلها نار المذبح وحدها (التي تشير إلى العدل الإلهي) تظل النار تتقد فيها، حتى تتحول إلى رماد. ثم يأخذ الكاهن هذا الرماد إلى خارج المحلة إلى مكان طاهر (لا ٦: ٨-١٢) إشارة إلى أن حق الله قد أستوفي، وتمت المصالحة معه، واخذ ثمن الخطية: وسر من خضوع المحرقة حتى المنتهي.

هذا عن إرضاء قلب الله، فماذا عن خلاص الإنسان؟

كانت ذبيحة الخطية، هي التي تحمل خطايا الإنسان وتموت بدلاً منه، لكي يخلص. وكذلك ذبيحة الإثم.

أنهما ذبيحتان، أحداهما عن الخطية الإرادية، والأخرى عن الخطية التي فعلها الإنسان سهواً ثم أُعلم بها (لا ٤، ٥).

كل من ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم، كانت طاهرة وبلا عيب.

الذبيحة لم تكن خاطئة، إنما كانت حاملة خطية.

كانت حاملة لخطية مقدمها، الذي يضع يده عليها، إشارة إلى أنها تنوب عنه، وأن خطاياه تنتقل منه إلى رأس هذه الذبيحة، فتموت عنه (لا ٤: ٤، ١٥، ٢٤، ٢٩، ٣٣).

وقد قال الكتاب عن هذه الذبيحة إنها قدس أقداس.

"في المكان الذي تذبح فيه المحرقة، تذبح ذبيحة الخطية أمام الرب. إنها قدس أقداس ... في مكان مقدس تؤكل في دار خيمة الاجتماع. كل من مس لحمها يتقدس ... إنها قدس أقداس" (لا

*٦: ٢٤ – ٢٩). ونفس الكلام قيل عن ذبيحة الإثم (لا ٧: ١، ٢، ٦) "أنها قدس أقداس".*

*كل هذه كانت رموزاً في العهد القديم. فما الذي حدث للسيد المسيح الذي كانت ترمز إليه هذه الذبائح والمحرقات؟*

*في يوم الجمعة الكبيرة، كان الله الآب قد أعد مذبح المحرقة علي جبل الجلجثة ...*

*وتقدم السيد المسيح، وهو يحمل خطب المحرقة.*

*تقدم وارتفع علي هذا المذبح بنفسه.*

*لم يرغمه أحد، لكنه هو الذي قال:*

*أنا أضع نفسي عن الخراف.*

*ليس أحد يأخذها عن الخراف.*

*ليس أحد يأخذها مني.*

*بل أضعها أنا من ذاتي.*

*لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضاً (يو ١٠: ١٥ – ١٨).*

*تقدم السيد المسيح وصعد علي مذبح المحرقة من ذاته. واتقدت فيه النار.*

*واتت نيران كثيرة، أحاطت به.*

*نيران من أقطار قريبة وبعيدة.*

*ونيران من أجيال عديدة.*

*كلها كانت تخص الناس، في كل مكان، وعلي مدي الأزمان. أنها نار العدل الإلهي الواقع علي كل هذه الخطايا.*

*وظلت النار تتقد، ثلاث ساعات كاملة.*

*من الساعة السادسة حتى التاسعة.*

ومرة ثانية، فرض الظل نفسه علي النور وتحول الرمز إلى حقيقة وخضع المسيح إلى رموز العهد القديم.

-٢-

# كيف يُعبِّر الآباء وتُعلن الليتورجيات المشورة الأزلية والإرادة الإلهية الخاصة بالخلاص

يقول الرسول بولس: "بهذه الإرادة أو المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠). ومن الرب يسوع المسيح نفسه تعلمنا حقيقة لا يجب أن نتركها بالمرة، ألا وهي أن شهوات القلب والفكر وحركة الإرادة هي بداية ونهاية كل شيء، كل فعل وكل تصرف. ولذلك قال الرب يسوع: "أقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (متى ٥: ٢٨). فقد تم الزنا في القلب حسبما يقول ذهبي الفم: "من يشعل هذا اللهيب في قلبه، حتى وإن كانت المرأة التي اشتهاها غائبة يخلق في داخله صوراً وأشكالاً سمجة، هذه الصور تقود إلى الزنا الفعلي؛ لذلك قطع المسيح الرغبة من القلب" (عظة ١٧: ٢ على إنجيل متى).

وحسب الشرح الرسولي نفسه الذي يقال على لسان الرب نفسه اعتماداً على العهد القديم حينما يعلن الله نفسه بالروح القدس:

*** بذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً.**

*** بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر.**

*** ثم قلت هنذا أجئ في دَرَجْ الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا الله.**

*** إذ يقول سابقاً (آنفاً) إنك بذبيحة وقربان ومحرقات وذبائح للخطية لم ترد ولا سررت بها. التي تقدم حسب الناموس.**

*** ثم قال: هنذا أجئ لأفعل مشيئتك يا الله.**

**يترع الأول (ذبائح وطقوس العهد القديم)؛**

**لكي يثبت الثاني.**

والمحصلة النهائية:

**"فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة"** (عب ١٠: ٥ – ١٠).

يقول الأب متى المسكين في المجلد الخاص بالرسالة إلى العبرانيين والتي تحمل عنواناً ربما انتبه إليه القراء: شرح ودراسة أغنى الرسائل في التعرف على شخص المسيح: «المسيح بتجسده أولاً وقبل كل شيء رفع بحياته المثلى الإنسان إلى مستوى قمة إرادة الله ومسرته من جهة خلقته الأولى، ثم بذبيحته أعطى الإنسان فرصة عظمى للارتقاء إلى خلقة جديدة» ص ٥٧٠.

وبعد ذلك يلمس النقطة اللاهوتية الأساسية في اللاهوت الشرقي وفي الليتورجيات كما سنرى بعد قليل: «ولكن الذي يحز في قلوبنا، أن نرى كيف انتبهت حواسنا وتركزت وانحصرت في ذبيحة الصليب، ومن ذبيحة الصليب انفرش على الفكر اللاهوتي للإنسان صورة المسيح المصلوب ليملأ فراغ كل تفكير بل ويستحوذ على كل تأمل ودراسة» (ص ٥٧٠). فقد أدرك الأب متى المسكين كباحث ولاهوتي أرثوذكسي غياب التجسد، ومعه غياب القيامة، ولعل القارئ قد لاحظ ذلك في الفقرات التي نقلناها عن كتاب علم اللاهوت النظامي للكنيسة الإنجيلية.

ويستدرك الأب متى المسكين لكي يعيد التعليم الرسولي: «مسيح التجسد، إنسان الله، ابن محبته الذي انحدر إلى عالمنا ليعطي أجمل وأسمى صورة لإنسان» ص ٥٧٠. «كيف ضاع منا أن نعيش مع مسيح ما قبل الصليب؟ ونستمتع بإنسانيته التي تتضح من أمثلتها الحية» ص ٥٧١. «ولكن ونحن قد انحصرنا الآن في الصليب هذا الانحصار الذي جعل الفداء قوة خالقة خلقت جبلتنا خلقة جديدة بالروح» ص ٥٧١.

لا نريد أن ننقل صفحات كاملة تؤكد لنا ضرورة استيعاب التجسد، بل المسيح كله وهو ما يعلنه بعد سطور قليلة: «كيف أن الابن كان على ميعاد مع الدعوة الأبوية. الخط الأزلي المرسوم في تدبيرات الله». ولذلك يقف عند كلمات

الرسول "قلت هأنذا" حينما رأيت أن الذبائح بكل صفوفها قد عزت عن أن تكون إفخارستية شكر حقيقية من طرف الإنسان وحينما بطلت الكفارة عن أن تكون كفارة أمام عدل الله.. قلت هأنذا أجئ .. (ص ٥٧٢).

## الإرادة الأزلية السابقة على خلق الله

لم تكن مشيئة الابن الأزلي زمانية أي تحركت مع الزمان، بل سبقت كل زمان، ولذلك قال إنه سيأتي، ولأن الأب متى المسكين مثل الآباء استوعب أساس التدبير وهو أزلية الإرادة الإلهية يقول عن تقديم جسد يسوع (عب ١٠: ١٠): «إذ أوضح أن مشيئة الله بتقديم جسد يسوع المسيح كانت هي لخلاصنا منذ البدء قبل التجسد، بل قبل الخليقة وبعد التجسد وفي موت الصليب والقيامة من الأموات» (ص ٥٧٥).. هذا بحد ذاته يجعلنا نرى وجودنا في المسيح كمفديين بدم المسيح منتهى تتميم مشيئة الله. «لأننا قد مسحنا بالدم وتقدسنا بالروح وأكلنا وشربنا جسده ودمه» (ص ٥٧٥). (راجع شرح أفسس تحت عنوان: المقاصد الأزلية قبل الزمان ص ٧٥ وبعدها)، وأيضاً شرح أفسس ٢: ١ – ٩ حيث يقول الأب متى المسكين: لا ينبغي أن ننسى ما ردده ق. بولس كثيراً أن أعمال الخلاص كلها والخلاص بحد ذاته هو أولاً وأخيراً تم وكمل في مقاصد الله قبل تأسيس العالم (ص ١٩٥).

هنا نكون قد وصلنا إلى قلب وجوهر المشكلة بين الشرق والغرب البروتستانتي. تقول كلمات التقوى في الليتورجية: "أنت هو الخبز الحي الذي نزل من السماء وسبقت أن تجعل ذاتك حملاً". فالإرادة لم تتكون في علية صهيون ولم تتحرك لأن موعد فصح اليهود حان، ولم تعطَ لأن الرب أراد أن ينسخ فصح اليهود. كل هذه ملابسات، أما الحقيقة فهي قبل كل الدهور وقبل خلق العالم رتب الرب بإرادة واحدة أن يقدم ذاته، إرادة واحدة أزلية تعمل حسب التدبير ولكنها سابقة على التدبير، ولذلك يقول ذهبي الفم عن ذبيحة الرب يسوع وهو يشرح الذبائح في

العبرانيين ابتداء من الفقرة ٥ من العظة التاسعة: «لقد صار رئيس كهنتنا أعظم بكثير بما لا يقارن، بل أعظم من أن يقارن بين كهنوت المسيح وكهنوت هارون.. انظروا أن الذبيحة هي فوق والكاهن سماوي وذبيحتنا سماوية. لنقرب هذه الذبائح على المذبح ليس الغنم والثيران والدم والشحم، بل الذبيحة العقلية التي تقدم بواسطة الروح الإنسانية لله الذي هو روح والذين يسجدون له فبالروح والحق» (يوحنا ٤: ٢٤). ذبيحتنا لا تحتاج إلى جسد وآلات (سكاكين) وأماكن خاصة؛ لأن كل منا هو كاهن بالاعتدال والصبر، والرحمة واحتمال المشقات، بطول الأناة والصبر والتواضع.. هذه الذبائح أشار إليها العهد القديم نفسه حيث يقول "اذبحوا ذبائح البر" (مزمور ٤: ٥). الذبيحة لله روح منسحق (مزمور ٥١: ١٧) ويقول في ميخا "ما يريده الرب منكم ليس المحرقات والذبائح بل أن تسمعوا له" (٦: ٨).

هكذا ثبت مبدأ تقديم أنفسنا لله بالإرادة والنية ثم لا ينسى ( مزمور ٤٠: ٦ — ٧ ) وهو نص (عبرانيين ١٠: ٥ — ١٠) ويقول "إن المحرقات هي أجساد الشهداء الذين قدموا أيضاً النفس والروح".. ثم يذكر ذبائح كرنيليوس قائد المئة في الفقرة ٧، والتقدمات أو الذبائح التي تقدم للفقراء مثل "طابيثا" في الفقرة ٨. وعندما يصل إلى ذبيحة المسيح في العظة ١٣ يقول بذات روح أبينا الأب متى المسكين:

«لاحظوا هذا السر الملوكي الذي صار كهنوتياً، لأن المسيح ملك وكاهن، كان ملكاً دائماً وصار كاهناً عندما تجسد وقدم الذبيحة». وبعد أن يذكر تقدمة ملكي صادق وهي ذات تقدمة المسيح له المجد، والفرق بين الكهنوت اللاوي وكهنوت الرب يواصل شرحه في العظة ١٨ على عبرانيين ١٠: ٨ — ١٣ ويقول في الفقرة ١ «لأصنع مشيئتك لكي أقدم نفسي» لأنه يعني أن هذه هي إرادة الله عندما يقول «بهذه المشيئة نحن مقدسون، بل هو يعني شيئاً آخر أسمى وهو أن الذبائح لا تجعل المقدمين أنقياء بل مشيئة الله، لأن تقديم الذبيحة في الزمان ليس هو إرادة الله (الأزلية) بل الإرادة هي التي تقدس، والتقديم يعلن ذلك» (الترجمة الإنجليزية غير دقيقة) وطبعاً القوة التي تقدس هي

الإرادة أو المشيئة، وهي تسبق كل أحداث التاريخ وتعلن إرادة الله الأزلية السابقة على كل الأحداث. ومن يراجع الفقرة الثانية يجد اهتمام ذهبي الفم بالنية أو الإرادة عند الله والرسول بولس.

## الذبح بالإرادة والنية

يبدو لمن تربى في مدرسة الشريعة أن تغيير الكلمات يغير الحقيقة، ولكن الحقيقة الواحدة يمكن أن نعبر عنها بعدة كلمات، والسؤال الواحد يمكن الإجابة عليه بأكثر من إجابة. هكذا، متى قدم المسيح ابن الله الأزلي نفسه ذبيحة؟ حسب الزمان في ١٤ نيسان من الشهر العبري، وحسب النبوة كان التقديم في مقاصد الله الأزلية، وحسب الممارسة الليتورجية: "بموتك يا رب نبشر وبقيامتك المقدسة نعترف". وفي كل مرة نريد أن نُصلب معه كما يقول القديس غريغوريوس النزينزي نقدم ذواتنا ذبيحة حية[1] وهو ما تؤكده صلاة القسمة "هذا الذي نزل إلى الجحيم وأبطل عز الموت.. رفع قديسيه إلى العلي معه أعطاهم قرباناً لأبيه".

لا يشرح التاريخ سر المسيح، لأن المسيح رب الأزمنة، بل يشرح المسيح التاريخ، فحسب تدبير محبته لم يقدم المسيح ذاته للذبح؛ لأن اليهود والرومان ويهوذا قبضوا عليه، بل حسب كلمات النبوة "لذلك عند دخوله إلى العالم يقول بذبيحة وقرباناً.. ثم قال هنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله" (عب ١٠: ٥ — ١٠).

وعندما نغفل التدبير الأزلي، نقع في ذات المشاكل التي عرضها كتاب علم اللاهوت النظامي للكنيسة الإنجيلية، لأن الرب كان مع التلاميذ في عُلِّية صهيون وكان هو خروف أو حمل الفصح حقيقية لا رمزاً. وكان هو وحده الذي يستطيع أن يمسك بجسده ليس حسب الظاهر، بل حسب الإرادة لأنه الكاهن الأعظم، وكان هو وحده

---

**[1] المقالة ٣٨ على عيد الميلاد والعنوان اليوناني هو عيد الظهور الإلهي Theophany يقول "هذا هو عيدنا الذي نحتفل به اليوم مجيء الله وتأنسه.. لقد متنا في آدم لكننا نحيا في المسيح، نولد مع المسيح ونصلب معه وندفن معه ونقوم معه" (٣٨: ٤) وفي المقالة الأولى على عيد الفصح يقول "بالأمس صلبت معه، اليوم أمجد معه. بالأمس مت معه، اليوم أحيا معه.. لنصبح مثل المسيح لأن المسيح صار مثلنا" (١: ٤ — ٥).**

الذي يستطيع أن يذبح داخلياً وفي قلبه وفكره وبقوة إرادته نفسه. هكذا يرتفع فكر اللاهوتي القبطي ليقول نفس الحقيقة التي تطالعنا في الليتورجيات نفسها ولكن بكلمات أخرى. وهكذا يعبر الأب متى المسكين عن البعد الأزلي:

**«المائدة صارت أمامه مذبحاً، والخبز في يديه صار جسداً حياً ومكسوراً وممزقاً والخمر في الكأس تحول إلى دمه ووقف الكاهن مخضباً بدم نفسه، المسيح قدم نفسه ذبيحة. الحمل الذي ظل رؤساء الكهنة يطاردونه ليمسكوه ويقدموه في العيد.. سلم نفسه قبل أن يضعوا عليه الأيادي، وأكمل بالسر بيد نفسه مشورته الأزلية، وهم لا يزالون يتشاورون عليه سراً، وسبق وذبح نفسه، بالنية، في وسط أحبائه قبل أن يصلبوه بين لصين. لقد حقق بالسر، ما كان سيتحقق بالفعل، فأكمل الذبح على مستواه الأبدي قبل أن يكملوه على مستواه الزمني، حتى يظل الذبح سراً قائماً بعد انتهاء الفعل، وحتى تبقى ذبيحته قائمة بلا حدود ندخل إليها في السر كلما نشاء وأينما نشاء» (الإفخارستيا ص ١٥٢ – ١٥٣).**

و لم يتوقف الأب متى المسكين عند هذه النقلة اللاهوتية الهامة. لابد أن يعود إلى الإنجيل بشارة الحياة والخلاص. وسؤال الإنجيل: مَن الذي بذل حياة المسيح عن العالم؟ ليس اليهود والرومان، بل الآب وبالابن في الروح القدس. ولذلك لكي يبقى الإنجيل كما هو معلن بقوة محبة الله لا بقسوة وشر وخبث اليهود والرومان. يقول الأب متى المسكين:

**«فالذبح الذي أكمله المسيح نفسه رفع من قيمة الفعل الزمني الذي أكمله العالم فيه، فأعطاه صفة الدوام والشمول فوق الزمان والمكان، حتى لا يقال إن العالم هو الذي ذبحه على الصليب، بل هو الذي ذبح نفسه لأجل حياة العالم» (ص ١٥٣).**

كيف رفعت عُلِّية صهيون من قيمة الذبح نفسه؟ والجواب للناسك الذي يقف على شط الأزل ويرى السر كله ليقول:

**"لم تعد مائدة**
**ولم يعد عشاء**
**ولم يعد طقس محبة لأعضاء محبوبين**
**بل مذبحاً ناطقاً سماوياً**
**وذبيحة سمائية لكل الدهور**
**ومسيح الحب للعالم كله**
**ووليمة أقامها ابن الله نفسه للبشرية قاطبه وعليها جسده**
**مذبوحاً ودمه مسفوكاً (ص ١٥٣).**

ومن يقف على شط الأزل سوف يدرك جمال محبة المسيح. لكن من يريد أن يغطس في وحل التاريخ سوف يسأل من تحت وحل التاريخ كيف يعطي جسده وهو جالس بين التلاميذ؟ فقد التاريخ بوحله الأسود رؤية المسيح وهو يعطي ذاته لكل مؤمن عبر التاريخ، لأنه الآن وفي كل زمان يعطي جسده ودمه الأقدسين لنا، وإذا لم يكن هو الذي فعل ذلك فمن يستطيع أن يمسك به لكي يعطي جسده، رغماً وقسراً وبدون حريته وإرادته وحده، لكل المؤمنين.

ترى من هو الأرثوذكسي الحقيقي؟

الأب القمص متى المسكين، أم الأنبا شنودة الثالث؟

حسب شهادة التاريخ والآباء بل والكتاب المقدس، الأب متى المسكين، أما الأنبا شنودة الثالث فهو غارق في تعاليم تمتد فروعها من جذور بروتستانتية ونسطورية[1] بل وأريوسية وأوطاخية بل وإسلامية...

تُري من هو الأرثوذكسي الحقيقي؟

---

[1] **سوف نناقش هذا في الكتاب الثاني "ليست بدع وليست حديثة"**

الذي يعود إلى التاريخ لكي ينقي التراث الفلكلوري أي الشـــعبي لكـــي لا يتحول إلى "شعوذة" ويتصدي له الإيمان بقوة كلمة الله، وتســـليم الآبـــاء والتقـــوى الأرثوذكسية وهو الأب القمص متى المسكين، أم الذي يفرض رأيه بسلطان أنتزعـــه بنفسه بلا سند من التقليد الكنسي وبمحاكمات غيابية في شرائط الكاسيت والمقالات لأنه يعجز عن المواجهة...؟

لقد دونت هذه الشهادة للتاريخ وللأجيال الآتية ...

دكتور

جورج حبيب بباوي